الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

دروس في مقياس قضايا الأدب الجزائري

مستوى: السّنة الثّانية ماستر

التّخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الدّكتورة: سماح بن خروف

الرّتبة: أستاذ محاضر ب

السّنة الجامعية: 2018/2017

- **أهداف المقرّر:**

1- التّعرف على الأدب الجزائري وأهمّ قضاياه الحديثة والمعاصرة.

2- تمكين الطّالب من الاطّلاع على أبرز المسائل الفكرية المطروحة في النّتاجات الأدبية الجزائرية.

3-الكشف عن مدى مسايرة الأدباء الجزائريين لمجريات حاضرهم الوطني والقوميّ.

4- تصنيف الأعمال الأدبية الجزائريّة بحسب الأيديولوجيات والأفكار المعالجة.

5- تحديد دوافع الإبداع ومنطلقاتها، مع التّعريج على السّياقات الثقافية المنتجة للنّص الأدبي الجزائري.

6- التّعرف على أهم الأدباء الجزائريين، وأبرز منجزاتهم وذلك بتوجيه الطّالب من خلال هذه الدّروس إلى المدوّنات التي تزخر بالقضايا التي تمّ التّعريج عليها ومقاربتها .

- **المعارف القبلية المطلوبة:**

1- الإحاطة بالظّروف الاجتماعية والتّاريخية للأدب الجزائري الحديث.

2- القدرة على ربط الأدب الجزائري بالأدب العربي في أشكاله ومضامينه.

3- الاطّلاع على الخصائص الفنّية للنص الجزائري، ومقاربته من خلال مناهج وآليات إجرائية علمية حديثة.

4- مقاربة مدونات متنوعة من رواية وقصص قصيرة وأشعار والاطّلاع على مضامينها، وأفكارها من خلال المعطيات النظرية المطروحة واستغلالها في حصص الأعمال الموجّهة.

- **مفردات المقـــرّر:**

مدخل: سمات انفتاح الأدب الجزائري ورفض الانغلاق

الدّرس الأوّل: الأدب الجزائري والقضايا الفكرية والأيديولوجيّة

الدّرس الثّاني: القضايا القومية العربيّة

الدّرس الثّالث: القضية الفلسطينية ومركزية حضورها النّصي في الأدب الجزائري

الدّرس الرّابع: الثّورة في الأدب الجزائري

الدّرس الخامس: القضايا الإصلاحيّة: إصلاح الأوضاع الاجتماعية، ومحاربة مظاهر التخلّف والمشكلات الأخلاقية

الدّرس السّادس: قضيّة الالتزام في الأدب الجزائريّ

الدّرس السّابع: الأبعاد الثقافية وقضيّة الانتماء

مادّة المقياس:

- **مدخل: سمات انفتاح الأدب الجزائري ورفض الانغلاق**

توطئة:

كان الأدب الجزائريّ على صلة مباشرة بمختلف النّتاجات الأدبية المتوافدة من المشرق العربي ومن الغرب، وذلك بفعل عوامل عديدة سنحت باستضافة ثقافة الآخر، واكتشافه من خلال نصوصه وإبداعاته، ليصل الأمر إلى استيعابه بما يتواءم وثقافته السّائدة، فيتفاعل مع ما يخدمها ويطوّرها وللأدب الجزائري دوافعُ عديدة حتى يمضي قدما نحو التّطوّر والرقيّ المتجدّد في أساليبه ومضامينه، ذلك أنّ له تراثا رغم ما فعله الاستعمار طيلة فترة احتلاله للجزائر، إلّا أن هذا الأدب يعتبر مادّة دسمة وغنية جدّا بما خلّفه علماء وفقهاء وحتى أدباء جزائريّون بخاصة في الفترة العثمانيّة، وقد كانت هناك أسواق قديمة وعريقة لبيع الكتب، بل ونسخها كما اعترف كثير من الباحثين "**وقد كان في الجزائر سوقٌ يدعى سوق الورّاقين، ولعلّه هو سوق القيصرية الذي ذكر حمدان خوجة في (المرآة) أنه كان مخصّصا لبيع الكتب وأن النّساخين كانوا فيه بكثرة**"[1] وهذا راجع إلى اهتمام الجزائريين بالعلم والثقافة، وتعدّ رحلاتهم وبعثاتهم، السّبب الرئيس في التّشجيع على الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى المجاورة منها والبعيدة، فنبذت بذلك فكرة التّزمت على الذّات، وقد كان الحجّ من أهم العوامل التي ساعدت على تغذية ثقافتهم، وتدعيم مكتبتهم بالمزيد من الكتب والمؤلّفات القيمة رغم صعوبة العيش وقلة الوسائل والتجهيزات آنذاك.

وعلى الرّغم من توفر كتابات أجنبية حول تاريخ وثقافة الجزائر، إلّا أنها اقتضت التحقّق من مدى نزاهة ومصداقية الكثير منها، بخاصة وأنّ البلد قد كان مستعمرا بخاصة في القرن التّاسع عشر وكان هذا سببا كافيا للسّعي الحثيث نحو كشف نوايا هذا الأجنبيّ تجاه تاريخ وأدب وثقافة الجزائر " **فالكتابات الأجنبية عن تاريخ الجزائر خلال الحقبة الكالحة للاستعمار الفرنسي لها تمثّل المصادر الأساسية لنسج المعرفة التاريخية للمنطقة وذلك من وجهة نظر الآلة الاستعمارية**

[1] أبو القاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرّابع عشر الهجري، (16-20م) ،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص293.

الفرنسية فقط"[1] وقراءة الآخر من خلال ما يكتب جسر هام جدّا للعبور إليه انفتاحا وتحصينا للذّات في الآن نفسه وهذا ما فعله الجزائريون والمثقفون بخاصة بكل وعي وفطنة.

- **بواعث الانفتاح في الأدب الجزائري:**

ما يدلّ على عدم انغلاق الأدباء الجزائريين هو إقبال الشّعراء بخاصة بالإضافة إلى روّاد الحركة الإصلاحية على قراءة ما يكتبه الآخر وما تنتجه ثقافته، ومع وجود الاتجاه التقليدي المحافظ إلا أنّ هذا الموقف السلفي للحركة الإصلاحية قد كان عاملا أساسيا في انتشار مدرسة الإحياء والبعث، ومن ثمة ظهور أدباء ونقاد يدعون إلى التّشجيع على تطوير الأدب الجزائري، فدعوا إلى التّجديد ومسايرة الحركة الأدبية في المشرق والمهجر وقد دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى ضرورة تعلّم اللغات الأجنبية فيقول " **العلوم في الجزائر كما أظنّها في غير منها علوم تؤخذ باللّسان العربي وهي علوم الدّين واللّسان، ومنها علوم تؤخذ باللّسان الأجنبي وهي علوم الأكوان والعمران**"[2] فهو يساند الانفتاح على الحضارات الغربية، ويحثّ على تحقيق التّكامل بينها وبين الحضارة العربية شريطة أن تصاقب المبادئ التي تربّى عليها الفرد العربي والجزائريّ بخاصة، وهو ما يستحقّ نهضة فكرية وثقافية، وسيسهم في التّشجيع على الإبداع، ومواكبة المستجدات بعيدا عن فكرة الخضوع للآخر أو الانسلاخ عن الذّات.

وقد كان رمضان حمود من أبرز المجددين وتبنى الاتجاه الرومانسي وانتقد الرؤية النقدية القديمة، كما دعا إلى ضرورة تطعيم الأدب العربي والتّفتح على الآداب الأجنبية عن طريق التّرجمة، ولكن هذا التفتح قد كان صعبا في هذه المرحلة أي قبل الحرب العالمية الثانية، فظلّت مجرّد استشرافات ونظريات في الصّحف، ولكن في أواخر الأربعينيات طبّقت، وتمّ تجسيدها تقريبا على أرض الواقع، ولكن تغيّر الوضع فيما بعد، وباتت التّجربة الشّعرية الجزائرية غنية جدا عبر تشرّب الثقافات الأخرى، فتغذّي نصوصها من حيث شكلها ومضمونها" **ولعلّ أبرز سمة تطبع التجربة الشّعرية الجزائرية المعاصرة هي انفتاحها على المأثورات من التجارب الفنّية القديمة والحديثة، وعلى التاريخ والعلوم بشتّى**

[1] إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص236.

[2] محمّد بن ساعو، جمعية العلماء المسلمين الجزائيين والثورة التحريرية، 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2016، ص23.

أنواعها على الصّعيدين العربي والعالمي"[1] وهذا الانفتاح سيؤدّي بالأديب الجزائري إلى أن يتعمّق في ما تركه السّلف واستكشاف مجاهيله اللامنتهية، والتزوّد منها لإثراء ما يقدّمه للقارئ بخاصة جنس الشعر؛ لأنه كان أهم لون أدبي انطلقت منه جلّ القضايا الفكرية والأدبية حيث قدّم الثورة والإنسان والوطنية والقومية والرومانسية والإصلاح، والتحرّر بالإضافة إلى التّجديد الذي كان حصيلة الاحتكاك والتّثاقف ورفض الانغلاق على الذّات" فا**لأليق بالمثقف العربي اليوم أن يرى قبل كلّ شيء مسؤولياته هو في تركيز وإحياء الفكر التقليدي في كلّ مراحل نهضتنا، تحت أقنعة التحرّر والتجديد"**[2] كما أن دلائل الانفتاح كثيرة جدا في التّجارب الأدبية الجزائرية إذ نجد بأن الشعراء الجزائريين المحدثين قد وظّفوا " **النّصوص الغائبة العربية بمختلف لغاتها وأنواعها المعرفية بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية، حيث نجد أصداء النّص الغائب العربي لشعراء غربيين عديدين من أمثال (إليوت، بودلير، إزرباوند، سان جون بيرس، مايا كوفسكس، إديت ستوويل، غارسيا لوركا "**[3] ومن شأن هذا الاستدعاء أن يغيّر من النّتاج الأدبي الجزائري، حين تتلاقح الرّؤى والأفكار والأساليب والهياكل الكتابية مع آليّات التعبير، فلا يوجد نصّ قد انطلق من العدم بل اتكأ على نصّ سابق أو جملة من النّصوص السّابقة حتى آل إلى بنيته الختامية.

وقد شهد العديد من الباحثين الأجانب وبخاصة الرّحالين الألمان مثل " **فيلهلم شيمبر، فيرديناند فينكلمان، هرمان هاوف وشونبيرغ وغيرهم"**[4] بقابلية الفرد الجزائري للنّهل من ثقافات الغير، وتحمّسه الدّائم لذلك الأخذ، وللحضور العثماني في الجزائر يده في تهيئة الذهنية الجزائرية المتأهّبة دوما لتلقي الآداب والعلوم التي تخدم فكرها، ومعارفها فقد ذكرت مجلة الكتب الإيطالية " **أنّ الجزائريين لا ينقصهم الذّكاء ولا المواهب ولا القدرة على التّطور، ولكن الاضطهاد التّركي هو الذي تركهم على هذه الحالة التي هم فيها، وقد بدأ اتصالهم بأوروبا قبل نصف قرن، إذ سافر إليها كثير**

---

[1] جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشّعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثّقافية، الجزائر، 2003، ص21.

[2] عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط6 ، 2014، ص53.

[3] جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص143.

[4] للاطّلاع على دراسات الرحالين الألمان المذكورة أسماؤهم ينظر في كتاب أبي العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان، 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

منهم وزاروا بعض بلدانها وحصلوا على معارف متنوعة أدت إلى ظهور مواهبهم المختلفة"[1] وجاء هذا الرأي بعد مقاربات سوسيولوجية، وأخرى سيكولوجية توغّلت في ذهنيّة الجزائري الذي يعبّر عنه الفرد البسيط والأديب المثقّف، فأكّدت بأنه منتج ومنفتح، وخياله غير عقيم بل له عطاؤه الجلي في السّاحة الأدبية والثقافية، وما فعله التّاريخ بالجزائر لم يمنع من الاطّلاع والغرف ونبذ التّزمت والتعصب للثقافة المحلية بشتى أشكاله.

وحتى الكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو انتقد هو الآخر منهج جريدة البصائر التي تركز على كل ما هو موروث وقديم مبتذل وفقط؛ لأنه يرى بأنّ الأدب غير مستقرّ وجنون لا منته ولا يعرف القيود وعلى الجرائد والمجلات ألا تكون لسان الحركة الإصلاحية ، وألا ينبغي أن تحيد عن منهاجها وخطتها، ولكن هذا لا يعني بأن الشّعر الجزائري لم يخرج عن الإصلاح بل تم تسخيره لمبادئ أخلاقية، ولتأييد النكبة الجزائرية ومناجاة الحرية، ولعل هذا الانصراف عن أغراض الشّعر قد ضيّق من باب الانفتاح، والانفصال الذي سببه الوضع الاجتماعي قد عرقل الحركة الفنّية، وجمّد سيرورة الفنّ والأدب في كثير من المواضع، وكل هذا عائد إلى اعتقاد الأدباء والنقاد الجزائريين بأن مهمة الشاعر ودوره في الحياة جاء استجابة للواقع السياسي الاجتماعي ليتغلب المضمون على الشّكل، وتغيب النّظرة الطّبيعية إلى الشاعر باعتباره إنسانا مبدعا له عواطفه وأحاسيسه.

ولم يسع الأدباء الجزائريون إلى التّخلص من القديم بل دعوا إلى تقديم هذا القديم في تجارب شعرية أو نثرية متميّزة فلم تُشعر القارئ بالفجوة التي فرضها عامل الزّمن بجلّ تغيّراته بقدر ما استشعر الاندماج الجليّ بين الماضي والحاضر على الرّغم من العزلة الفكرية والثقافية التي غرق فيها الأدب الجزائري على غرار المجتمع بفعل الاستعمار الفرنسي الذي فرضها بكل عجرفة، وسعى إلى توسيعها وتكريسها قدر الإمكان، وقد تباين الانفتاح من فترة إلى أخرى فكانت درجاته متفاوتة إبان الثورة وفي سنوات الاستقلال وحتى في السنوات اللاحقة (السّبعينات والثّمانينات والتسعينات)" **فانفتاح الخطاب الشعري الجزائري قبل الثّورة التحريرية وخلالها كان انفتاحا جزئيا، يتمثّل في نصوص التّراث التي لم يكن الشّاعر يلمّ بها إلمام ذوق وإحساس يستطيع من خلاله خلق لغة شعرية**

[1] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان، 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص10.

جديدة بواسطة الخيال الشّعري"[1] والجزئية في الانفتاح على الآداب الأخرى لا تعني قصور النّص الأدبي الجزائري أو فشله في العودة إلى ما يعنيه من التّراث أو ما يعاصره من نتاجات أدبية، وإنّما كان للعامل الخارجي، وبخاصة التّاريخي يدٌ في عدم اكتمال الانفتاح بما يليق بالأدب الجزائري ومختلف قضاياه.

ولو تحدثنا عن تفاوت الانفتاح في الأدب الجزائري تبعا للسّنوات والأيديولوجيات المنتشرة وكذا الجوانب المادية والمعنوية للفرد/ الشّعب الجزائري فإنّ" **أعوام السّتينات يمكن اعتبارها فترة بداية الانفتاح ومدّ الجسور الثقافية بين الجزائر وسائر بلدان العالم الاشتراكي، نظرا للتّوجه السّياسي والاجتماعي الذي اختاره وطننا آنذاك"**[2] أما لو تأمّلنا فترة الثّمانينات والتسعينات، فإننا سنلحظ خروج الفرد والمثقّف من كبت الاستعمار واستعداده للعطاء والتميز، وتبديل الحياة من خراب إلى أمن واستقرار على الصّعيدين الاجتماعي والثّقافي "**فواصل هذا الجيل عطاءه الإبداعي مع شعراء آخرين ظهروا إبّان هذه الفترة فتولّدت تجربة شعرية قاعدتها الأولى لا بداية ولا نهاية للمغامرة الإبداعية**"[3] وحتى باقي الأجناس الأدبية استطاعت أن تتأثر بغيرها من الأجناس في الدّول الغربية والعربية/ المشرقية وتلتفت لنفسها فيما بعد حتى تؤسّس قواعد وآليات كتابية خاصة بها.

يمكن القول بأن المحافظة والتقليد لم يمنعا من تأثّر الأدب الجزائري بباقي الآداب المشرقية والمغربية، وقد تأثر الشعراء بمطران خليل مطران كما اعتبر عبد الكريم العقّون أبا القاسم الشّابي ساحره الملهم، وتأثر به محمد الأخضر السّائحي، وعبد الله شريط، بالإضافة إلى اطّلاع الشّعراء الجزائريين على الشعر الرّومانسي الفرنسي والشعر الانجليزي وغيرهما، ولا يهمنا التأصيل للحداثة في الأدب الجزائري بقدر ما وددنا أن نقرّ بحقيقة وجود نهضة فكرية وأدبية جزائرية، برزت جذورها في بدايات القرن العشرين وتبلورت إلى أن صارت قاعدة صلبة للثّقافة الجزائرية في منتصف وما بعده من سنوات لاحقة.

---

[1] جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص20.

وحتى عبد الحميد بن باديس يقرّ بأن الأمة التي لا تتفتح على الثّقافات والآداب الأجنبية تحكم على نفسها بالموت، لذا سعت بعض المجلّات الوطنية الجزائرية إلى تخصيص أعداد تترجم فيها أروع الأشعار الغربية أو تحتفل بمرور قرن على ميلاد فيكتور هيغو؛ لأنّه كان بمثابة الأديب العملاق آنذاك.

• الدّرس الأوّل: الأدب الجزائري والقضايا الفكرية والأيديولوجية

تقديم:

إنّ أي أدب هو وليد السياق الخارجي الذي يعبّر عنه ولا غرو في أن يتأثّر بمجرياته ومقتضياته وما يقتضيه هذا السّياق بمختلف أنساقه ومنظوماته هو أن يستوعب هذا الأدب بمختلف نصوصه وأجناسه ما يجري من وقائع وقضايا فكرية وأيديولوجية تفرض نفسها بفعل الزمن والانتشار فهي متغيرة من المتغيرات التي قد تنفلت من المحيط الخارجي، ولكن على الأديب العربي/الجزائري أن يقرّ بمفاهيمها المتباينة ويشكّل منها خطاب أدبيا يبتعد كثيرا عن السياسة والدين ليجد **"مجاله المفضّل، مجال التعّبير الأدبي الذي يخفي تناقض الأطراف بواسطة الصّور الفنية"**[1] وهذا التّفضيل إنما نجم عن الأثر البالغ الذي يحدثه تمزّق الوعي على الفرد العربي ومن ثمة الثّقافة العربية التي أصبحت ترافق كلّ التّجارب التي فرضها راهنه العربي.

أما" **كلمة أيديولوجية فينتسب استعمالها إلى نابليون وكانت تعني في ذلك الحين الاتجاه النظري البعيد عن الواقعية، وهو اتجاه كان ينظر إليه نابليون نظرة استخفاف واستهانة"**[2] وقد ارتبطت بالمفاهيم المجردة التي يتمّ تصوّرها فقط، فلا يمكن تجسيدها على أرض الواقع، لكن سرعان ما آلت إلى مفهوم جديد اكتسبته مع المعاني الجديدة والمستجدّات الراهنة، فارتبطت بالحياة بمختلف مناحيها ومجالاتها الاجتماعية والسياسية وغيرهما من التنظيمات.

ولم تأت الأيديولوجيا عبثا بل بعد توالي جملة من الظروف الحياتية التي عاشها الإنسان، والفرد العربي بخاصّة حيث آمن بأنّ الأفكار التي تميّز كل فرد عربي عليها أن تجسّد على أرض الواقع، وبكل

[1] محمّد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ص91.

[2] إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية (الفكر القومي)، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط7، 1979، ص9.

موضوعية بعيدا عن العصبية أو العرقية، بل عليها أيضا أن تستند إلى المبادئ والقيم الإنسانية التي ستسمو بهذا الفرد، كما أنّ البحث عن الاستقرار السّياسي هو هدف كل فرد عادي أو مثقف لذا تجلّى الصّراع الطبقي في مضامين الأعمال الأدبية الجزائرية المتأثرة بالثّورة الاشتراكية التي أتت بمفهوم جديد للحياتين الاقتصادية والسياسية مما استدعى التأثير في الحياة الإبداعية الأدبية كذلك.

وقد أسهمت الثورات الدّاخلية والخارجية وبمختلف صراعاتها التي مسّت مختلف الأوضاع في الدّول العربية في تطوير الأيديولوجيا؛ لأنها لم تكن مادّية بقدر ما غاصت في المذاهب والرّؤى والأفكار، وانتهجت طريقا انبنى على جملة الحركات الثّورية التي انطلقت أفكارا ووصلت إلى الهزيمة أو الانتصار" **فالوضع الأيديولوجي العربي بكل مظاهره هو وليد الضغط الإمبريالي...كما أنه وليد العلاقات الطبقيّة...ومن هذه الزاوية أن كل وضع فكري مطابق للحالة الاجتماعية الناجم عنها، ولا يأتي أي تغيير أيديولوجي إلا في نطاق الصّراع والممارسة"**[1] وما الإمبريالية والطّبقية إلا نتاج للخلفيات والمرجعيات الفكرية التي كان الفرد يطمح إليها، وحتى المنظومات الكبرى؛ لأنها تحتضن هذه الجماعة من الأفراد الذين يسخّرون كل أفكارهم ورؤاهم لخدمتها وتطويرها.

- **قضية الاشتراكية وأبعادها في الأدب الجزائري:**

لقد عرف الأدب الجزائري تأثرا ظاهرا بموجة الأفكار الجديدة الواردة من الشرق والغرب، فالمجتمع قد اضطهد كثيرا من النواحي السّياسية والاجتماعية وحتى الثقافية ومجرد بحثه عن الحلول لمعضلات تسبب فيها الانسلاخ عن الهوية والذات بفعل الاستعمار يقتضي التّنقيب في معظم الحركات السياسية التي كانت تنادي بصنع القرار، وتفعيل الوجود الذّاتي والمجتمعي والفكري بخاصة حين" **انتشرت المذاهب والأيديولوجيات الغربية من ماسونية وسان سيمونية واشتراكية وشيوعية وفاشية، وإلحاد وعدمية، وحركة نسوية، واستشراق وحتى الوجودية والسريالية...ومسّت كثيرا من المتّصلين بهم من المثقّفين الجزائريين**"[2] ورغم تباين هذه المذاهب، إلا أن الجزائريين قد آثروا الاشتراكية لما ترجوه من تغليب للمصلحة العامة، والنّهوض بالمقموع والمقهور بفضل الجماعة المتكاتفة والمتكافلة لخدمة

[1] عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، مرجع سابق، ص13.

[2] بشير بلّاح، التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية، 1962-1998، جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس ، الجزائر، 2017، ص51.

الجماعة، وذاك حال الأدب بشعره ونثره لم يجد أمامه سوى الاستجابة لمثل هذه المذاهب التي كانت بمثابة المنجاة لأزمة الفرد الجزائري الذي لم يشف بعد من جرح استعمار داميّ دام أكثر من قرن في الأرض الجزائرية.

وقد تبنّت الرواية الجزائرية بشكلٍ لافت القضيّة الاشتراكية، ونسجت متخيلها على مفهومها وأبعادها كي توصل للقارئ الجزائري/العربي حقيقة النّظام السّائد في الجزائر لا لتنوب عن كتب السّياسة وعلم الاجتماع، و إنّما لتقول بكل فنّية ما يحدث في الوطن فتوطّن الوقائع بلغة الواقع والبداهة من جهة، وتمتع بخيال يلملم الجراح، ويحاول جبر الكسور التي خلّفها المستعمر فترنو الإصلاح وتهدف إلى التّقدم بمخاطبة العقول متوسّلة الخطاب الروائي الذي يجد واسع المجال في البنية السّردية على عكس الشّعر الذي لن يكون مصاقبا لمعالجة مثل هذه القضايا الفكرية معالجة تجمع بين النّزاهة الفنّية أمّا" **الاشتراكية ليست دائما ماركسية، كما يدلّ على ذلك تعدّد ألوانها ونعوتها، ومن السّهل أن تتفق مع المنهج التقليدي، بل يمكن أن تنبني عليه في البلاد التي لم تعرف تقدّما اقتصاديا ملموسا"**[1] وتقود الاشتراكي كقضية تكاد تكون جوهرية في الكتابة الأدبية الجزائرية السّبعينية والثّمانينية إلى الحديث عن قضايا متداخلة كثيرا مع مبادئها وذلك في كلّيتها، وسعيها نحو تأكيد الوجود الجماعي العام والقائم على الوحدة والاتحاد "**فالكاتب عندما يتحدّث عن الاشتراكية والتّقدم يطرح صراحة أو ضمنا قضية الوحدة وعندما يتحدّث عن الوحدة والاشتراكية يطرح صراحة أو ضمنا قضيّة فلسطين**"[2] وهي ما يمكن أن نصطلح عليها الاشتراكية العربية القومية وقد ظهرت في أغلب أعمال الأدباء الجزائريين شعرا ونثرا فقد وجدوا ضالتهم ومتنفسهم في هذه القضية التي لم تطغ كثيرا في الشعر بل تبنّتها الرواية العربية في الجزائر بخاصة على الرّغم من حداثة ظهورها في السّاحتين العربية والجزائرية.

ونحن لن نركّز على المفاهيم السّياسية للاشتراكية بل سنوضّح مدى استيعاب الأعمال الأدبية الجزائرية لهذه المفاهيم وكيفية توظيفها، فيبرز دور الأدب في المجتمع ومدى معالجته لمثل هذه الأيديولوجيات السّائدة، وقد هيمنت الاشتراكية بقوة في الحياتين الاجتماعية والأدبية وكانت محور

[1] عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، مرجع سابق، ص9.

[2] محمّد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، 107.

الروايات الجزائرية التي سعت إلى ملامسة الواقع والتّعبير عنه، لما عاشته، ولازالت تعيشه إبّان الاحتلال وبعد الخراب الذي تركه "**والاشتراكية بالمفهوم الفكري الجزائري تنبع من صميم الواقع والتّجربة النضالية ضد القوى المستغلة والإيمان المطلق بالإصلاح الاجتماعي الجذري**"[1] وقد اتكأ الخطاب الأدبي الجزائري على الاشتراكية والواقعية، وعالج مختلف الأوضاع على الرغم من العراقيل التي عرفها في عهد الاستعمار الفرنسي، حيث لم يجد المجال الكافي لبثّ الأيديولوجيا كاملة في ثنايا النّص بسبب محدودية الثّقافة لدى الجزائري المقهور فكريا و" **للقيد الذي كانت تفرضه جمعية العلماء المسلمين وقتها على مختلف الإبداعات التي كانت تخرج عن المألوف في الأدب العربي**"[2] أو تخوض في الواقع بمسالك بعيدة عمّا تمليه الحقيقة السياسية بخاصة. ولكن بعد هذا العهد المظلم- الاستعمار- أي في السّتينيات والسبعينيات أخذ كل مفردات القاموس الأيديولوجي السّائد، وجسّده على مستوى النّص بشروط فنّية، وخصّصه في الأعمال الروائية نسجا على منوال الأعمال الروائية السّابقة العربية منها، أو المكتوبة باللغة الفرنسية، ويمكن أن نذكر روايات وأعمال أدبية كانت القضية الاشتراكية محورها على غرار محمد ديب وكاتب ياسين في الخمسينيّات وفي سنوات الثورة، بالإضافة إلى كتاب السّبعينيات والثمانينيات كأغلب أعمال الكاتب عبد الحميد بن هدوقة "**ريح الجنوب، غدا يوم جديد، نهاية الأمس، بان الصّبح** " التي كانت قريبة جدا من الواقعية الاشتراكية ذات البعد النّقدي والتي تغوص في طبقات المجتمع الكادحة، وتعالج همومها المادية والمعنوية بالإضافة إلى الطّاهر وطّار حيث كانت أعماله الرّوائية متخصّصة في توطين الواقع الذي أفرزته التّغيرات الأيديولوجية الجديدة آنذاك وذلك في معظم رواياته كرواية "**اللّاز، العشق والموت في زمن الحراشي، الحوّات والقصر، والزّلزال**" التي عبّرت عن الحياة بإشكالات زمنية تعود إلى الثّورة تارة، وإلى ما بعد الاستقلال تارة أخرى ومن "**الموضوعات التي سيطرت على جيل السّبعينيات موضوع الثورة الزراعية الذي**

[1] إبراهيم عبّاس، القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، أطفالنا للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 2014، ص166.

[2] واسيني الأعرج، اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص60.

أحدث ثورة إيجابية على الصعيد الأدبي الجزائري فأبرزت التوجيهات التقدّمية التي كانت سائدة قبل الاستقلال"[1] واستمرت إلى ما بعد الاستقلال بسنوات.

وقد نجحت روايات وطّار في قول الواقع بمختلف أوضاعه وحيثياته مع عدم إهمال الناحية الجمالية الضرورية للنجاح في معالجة القضايا، وتوجيهها لأكبر قدر ممكن من القرّاء الواعين بما يجري في مجتمعهم فتتّشكّل لديهم الرؤية الثّاقبة والناقدة للمواقف الواردة في النصوص الأدبية، فمثّل وطار الكتاب الجزائريين الاشتراكيين في كاتب واقعي اشتراكيّ "**وقد اتكأ وطّار بكل تأكيد على ثقافة إنسانية واسعة..وبنى أعماله الروائية على الزّخم الثوري الذي خلفته كتابات محمّد ديب وغيره فاستطاع ضمن منطق ظروفه التاريخية.. أن يضيف الكثير إلى الساحة الأدبية الفقيرة في الجزائر ويطور هذا الاتجاه"**[2] الاشتراكي وفق حاجات القارئ/ الشّعب الذي يتطلّع أكثر لمستقبلٍ ماضيه كان قائما على الثّورات، أمّا حاضره فمفعم بالاتجاهات التي استهلكت في مجالات عديدة كالصّحافة والسياسة والدين ولكن الأدب هو الأنجع في تصوير التطوّر المتنامي للوعي الوطني، والحراكات الفكرية غير المستقرة لا زمانا ولا مكانا.

ولم يكنْ الأدب الجزائري سياسيا أو تاريخيا بحتا بقدر ما حاول أن يقارب معضلات يعيشها هو وباقي أفراد المجتمع الجزائر، فيكون لغة الحياة بجدراة فتأصّل "**نوع أدبي جديد ناضج في الأدب الجزائري الحديث المعبّر بلغة الوطن عن واقع وقضايا ومواقف في مستويات أدبية فنّية مختلفة**"[3] وبخاصة مع فنّ الرّواية على الرغم من جدّة ظهورها ولكنها نجحت في تقديم تحليل ورؤية ثاقبة للفرد وللمجتمع بمختلف قطاعاته، أما القصّة القصيرة والمسرحية فلم تكونا قادرتين فعلا على استيعاب كل هذه العوالم الفكرية المتباينة والإفصاح عن مكامنها أو إعادة تصويرها كما ينبغي أن يكون مع التّشكيل المتجسّد في الواقع.

---

[1] إبراهيم عبّاس، القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص199.

[2] واسيني الأعرج، اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر، مرجع سابق، 599. وللتعمق أو التوسع أكثر في الوجود الأيديولوجي (الواقعي الاشتراكي) في أعمال الطاهر وطار ينظر في المؤلف ذاته لواسيني الأعرج ص 465 فما فوق.

[3] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1، دت، ص241.

ومن النّماذج الأدبية الجزائرية التي اعتمدت القضية الاشتراكية في انبنائها الفكري فاحتذت حذو الكاتب الطّاهر وطار الذي أوجد الأدب الاشتراكي والبطل الاشتراكي نذكر روايات واسيني الأعرج " **أوجاع رجل غامر صوب البحر، ونوار اللوز، وقع الأحذية الخشنة، ما تبقّى من سيرة لخضر حمروش**" ورواية الحبيب السّائح "**زمن النّمرود**" وروايتا "**عزوز الكابران، والبزاة**" لمرزاق بقطاش، ورواية "**رائحة الكلب**" لجلالي خلّاص، وقد لا تبرز الاشتراكية بقوة في بعض الأعمال مثل رواية "**ما لا تذروه الرياح**" لمحمّد العالي عرعار، والمجموعة القصصية "**غادة أم القرى**" لأحمد رضا حوحو، وقصص "**الشّهداء يعودون هذا الأسبوع**" للطّاهر وطار والت تحتوي قصة "**اشتراكي حتى الموت**".

هي روايات تلاءمت في نصوصها ومتونها السّردية مع الواقع وقضاياه، فترتّبت أحداثه المحبوكة في قالب فنّي متميّز وعلى جملة من التّمفصلات الخارجية والسّلوكات السائدة، كما لم تُرهق بالأيديولوجيات الصّارمة بقدر طريقا لتعميق الوعي وحلّ المشكلات، واستغلال قضايا الشّرائح للتّجديد على مستوى المضمون مع مسايرة الحداثة والتّجريب على مستوى الأساليب الكتابية والفنّية، وللطّالب أن يختار إحدى هذه الأعمال الأدبية ويستطلع منها أبرز قضايا التي تم انتقاؤها في درسنا هذا وهي الاشتراكية، ويحلّل مدى نجاح الكاتب ونصّه في إعادة صياغة الواقع الجزائري والولوج إلى جوهره وصميمه.

- **قضية العنف والأزمة التّسعينية في الرّواية الجزائرية:**

تحتوي الرّواية الجزائرية المعاصرة وبفضل انفتاحاتها المتباينة والواسعة على عناصر سردية منتظمة وفق نسق معين يتماسك ليشكل لها نسيجا متكاملا يفضي إلى تحيين العديد من الظواهر الرّاهنة، وكذا الحالات التي يصعب معالجتها في باقي الفنون أو الأجناس الأدبية بدقة تقتضيها التّقنيات والأساليب التي ينبغي إتباعها.كما تضمنت مقومات–سردية وفكرية– ارتكزت عليها في إبراز عوالم **الأزمة** التي مرّت بها الجزائر في مختلف مراحلها و أبعادها، بالإضافة إلى استنطاق مكنوناتها؛ لأنّ عمومياتها قد باتت واضحة، إلا أنّ الدّفين فيها قد انجرت عنه حالات عديدة مسّت بتوتراتها فضاء النفس الواسع والرّهيب.

ولا خلاف في أنّ كل من عايش الأزمة من قريب أو من بعيد قد تأثّر بمجرياتها وغاص بدوره في بحر دمائها المرّة والتي سقت زرع أمله وطموحه **التغييري** بمرارة البؤس، وظلمة العنف الممارس كشكل من أشكال الاضطهاد، الذي انعكس لدى العديد من الأفراد **المثقف** منهم والعادي ليحال إلى ترجمات سلوكية ذات اضطرابات داخلية قد زعزعت سيرورة الوتيرة الفردية ليصبح مآلها الضّياع والانسلاخ عن الأصل الحقيقي سواء أكان أناً أو مؤسسة اجتماعية، وإلا عقيدة مسلما بأحكامها المفروضة.

وهذا الانسلاخ هو ما يعرف بضياع الأنا في براثن **اللاَوجود** لما انبرى في المحيط السائد من قيود خنقت بدورها الحريات الذاتية والدّينية والاجتماعية والسياسية وكذا الأمنية وتعفَنات اعترت السلطة وولَدت أقنعة متناظرة في وجوه متميزة "**تواجه التصور السلطوي بمنظومة من المثل الغائبة والمنتظرة،تقول السلطة بالهزيمة والانتصار وتقول الرواية بالاغتراب واليوتوبيا، مؤمنة أن في المستقبل زمنا محتملا ممتلئا بالحرية**"[1] والمسؤول عن هذا الاستشراف هو الصّوت الحاضر في الرواية الجزائرية والذي سيمثّله البطل الإشكالي الذي استثار المجتمع ومجتمع القراءة في الآن نفسه.

ولا تمّنا المعطيات السّياسية التي ولّدت هذه الأزمة بقدر ما سنسلّط الضّوء على التّغيير الذي أحدثته في الكتابة الرّوائية الجزائرية، وفي مسارها بخاصة ومسار الأدب الجزائري بعامة، وقد كان للنّص السّردي الجزائري حظّه الوافر في الأخذ بناصية التّاريخ والمسكوت عنه، وكذا التّحكم في العديد من النزاعات السياسية والاجتماعية والثقافية، وذلك ببلورتها وفق ما تستدعيه المسارات الملتوية، كان عليه أن يرتكز إلى الجانب الدّياليكتيكي السّائد بين الذات الجزائرية الحائرة الرافضة، وبين الواقع المدمّر والمهزوم إن لم نكن قاسين في وصفنا، لذا سنجد أغلب الرّوايات التّسعينيّة (روايات العنف، روايات الأزمة، أو روايات العشرية السّوداء) مأساوية مفعمة باليتم البليد تعتمد متاهات الفرد، ومعاناته النفسية وحيرته أمام ما يجري من أوبئة مادية وأخرى معنوية جراء الممارسات الإرهابية في فترة التسعينيّات .

[1] فيصل عباس،الرواية وتأويل التاريخ،نظرية الرواية والرواية العربية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،ط 1،2004م،ص85.

والمجتمع نسق قائم على مبادئ وأسس تسعى إلى توفير الأمن والاستقرار والتّفاعل المتبادل بينه كمؤسسة كبرى وبين الفرد كعنصر يتشارك مع غيره من الأفراد لتكوين بنية اجتماعية قائمة بذاتها، وإذا كان هذا الاشتراك كاملا وإيجابيا عرف هذا النّسق التّطور والرّقي، أمّا إذا حدث العكس فسيزعزع أمنه واستقراره، ولأننا ألفينا تقويضا ملاحظا وبشكل كبير في النّسق السياسي في هذه المرحلة سيمسّ بدوره النّظام الاجتماعي وكذا الثّقافي لأنّ "**وجود السّلطة السياسية أمر ضروري باعتبارها القوة القادرة بالفعل على تحقيق الانسجام الاجتماعي داخل المجتمع والتأكيد لاستمراره**"[1] واستمرار الثّقافة والفكر اللذين سيطوّران الذهنية الجزائرية لتتنامى، وتنسى بذلك الرّوايا المظلمة في الأنساق السّائدة.

واستطاعت رواية الأزمة أن تعالج إحدى هذه الزوايا المظلمة بطرق مختلفة ولكلّ كاتب وجهة نظره شريطة أن يكون واعيا تمام الوعي بما يجري، وإلا لن يشبه عمله السّردي الرّواية السّياسية" **فهي التي تفضي إلى معالجة الجوانب السياسية للقضية ضمن توجهات ومحاور مختلفة مستوعبة للمراحل المختلفة**"[2] وهذا الاستيعاب يتمّ بأساليب فنّية جمالية تستهلك الأوضاع لتقدّمها بواقعية مهذّبة في قالب فنّي متميّز بمعنى أن الخروج من بعض المآسي والظروف الآسنة قد يقتضي رمزية وإيحائية أو حتى تهكّما في إطار المفارقة اللغوية.

وبداية الأزمة كانت مع أحداث أكتوبر 1988م وتبعاتها، وكيف آل الوضع من أحادية حزبية إلى تعددية حزبية، وباتت السّياسة كالمواسم في تقلّباتها وتعاقباتها فعمّ الفساد وانبرى العنف السّياسي"**لسوء استخدام السلطة أو النفوذ العام بهدف الانحراف عن غايته، وذلك لتحقيق المصالح الخاصة أو الذّاتية بطريقة غير شرعية ودون وجه حق**"[3] وهذا الحدث الأكبر كان بمثابة العجينة التي صنع منها الأدباء الجزائريون أشهى الأنسجة السّردية، ولكن لا ينبغي أن نعمّم هنا فهناك للأسف من فشل في تصنيع هذا الحدث الخام بل زاده مرارة فغدا طعمه لا يطاق.

---

[1] أحمد وهبان، الماوردي رائد الفكر السياسي، مرجع سابق،ص34.

[2] أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980م، ص104.

[3] الشريف حبيلة، الرواية والعنف،دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2010م ،ص166.

وكانت روايات الأزمة الجزائرية ذات طابع سياسي مؤدلج حين ارتبطت" **الأدلوجات السياسية بمصالح الفئات التي تتصارع لتصل إلى السلطة السياسية"**[1] وهذا الصّراع تمّ تأويله وفقا لقناعات الأدباء الجزائريين وانتماءاتهم الفكرية والأيديولوجية المختلفة فكتلوا عن تيمات لها العلاقة المباشرة بم عاشته الجزائر آنذاك من سواد كالموت والعنف الرّمزي والجسديّ، والفزع والخوف وحتى المرأة كانت حاضرة لأن الانقلاب قد مسّ حياتها بشكل لافت.

ومن بين الكتّاب الذين برزوا في هذا التّيار وكتبوا روايات انطلقت من العنف وجعلته سؤالا مركزيا لتستشكل منها عدّة تساؤلات على مستوى الأحداث والشخصيات، نجد "مرزاق بقطاش، رشيد بوجدرة له رواية "تيميمون"، ولبشير مفتي" أشجار القيامة، والمراسيم والجنائز شاهد العتمة"، ورواية "الأزمنة المتوحّشة" لجيلالي خلّاص، أما حميدة عياشي فله "متاهات ليلة الفتنة"، يسمينة خضرة له روايتا " بحر الصّمت" و"وطن من زجاج"، وروايتا "الشّمعة والدّهاليز، والولي الطّاهر يعود إلى مقامه الزكيّ" للطّاهر وطار، كما كتبت أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد، وفوضى الحواس" وللكاتبة زهور ونيسي "لونجة والغول"، ولشهرزاد زاغر رواية "بيت من جماجم" أما واسيني الأعرج فله روايات "سيّدة المقام وحارسة الظّلال وشرفات بحر الشّمال" وللكاتب كمال بركاني "امرأة بلا ملامح" ولإبراهيم سعدي روايتا "بوح الرّجل القادم من الظّلام وفتاوى زمن الموت" ،هي روايات تساءلت من المتسبّب ومن المتضرّر ومن يترصّد لمن ومنها من عالج هذه المحنة معالجة سطحية، ومنها من استطاع أن يقدّمها بغموضها وعتمتها، تقديما واقعيا نقديا، لتتحوّل الرواية في حدّ ذاتها إلى أيديولوجيا مستقلة بأفكارها ورؤاها الواقعية والفنّية؛ لأنها تثير محنة السياسة ومحنة الأدب الجزائري الذي يُعنى هو الآخر بالواقع حلوه ومرّه، وقد لا تكتفي بإثارتها فقط بل تجاوز مسألة توثيق الأحداث التّسعينية إلى إعادة قراءتها وإنتاجها من جديد بلغة غير لغة السياسة ولا لغة الابتذال والتّوصيف التقريري البليد.

[1] عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب ،ط7،2003م، ص46.

- **الدّرس الثّاني: القضايا القومية العربية**

في مفهوم القومية:

ظهرت القومية استجابة لمتطلبات عديدة اقتضتها عوامل خارجية متعلقة بالإنسان الذي لطالما اقترنت حيرته بكل ما يحيط به، فكان فكره منصبا في كيفية تجسيد كينونته عبر مسالك سديدة، ولعلّ الجدليات التي فرضها الواقع بمجرياته ومفارقاته اللّامنتهية قد خلقت تناقضات كانت وليدة الظّروف والرّاهن حتى استعصى على بعض الأفراد التّأقلم مع وسطهم، لأنّ متطلباتهم الفردية بعيدة كل البعد عن المقتضيات الاجتماعية أو السياسية وحتى الاقتصادية.

وقد يكون الخلل في الأنساق السّابقة نظرا لسوء التّسيير أو لممارسة بعض الأساليب القمعية المضطهدة لرغبات الإنسان الطّامح ، ولما استدعت المجالات والمنظومات المتباينة في المجتمع وعيا يدفعها نحو الرقي والسير السليم ظهرت حركات فكرية تنزع إلى الحرية والإنسانية تحقيق السّلام للإنسان الذي يؤمن بوطنيته وقوميته وقد" **ظهرت القومية في بلدان أوروبا الغربية، في أواخر القرن الثامن عشر في مرحلة تاريخية معينة جاءت تتويجا لتطورات اجتماعية واقتصادية وفكرية وأحداث سياسية كبرى"**[1] فتولّت عن هذا الوعي حراكات فكرية وتجارب مسّت أقطار عديدة كالصين واليابان ودول أروبا إلى أن بلغت البلاد العربية التي كان كلّ فرد عربي فيها يحتاج إلى وعي قومي يستنير به لأمته ويستنهض به معالمها التي سعت أيدي خارجية إلى طمسها ودفنها حية ترزق.

وقد لجأ الفرد العربي إلى الحركات السّياسية القائمة على أسس متينة تنمّي عقليته وتساعده على تجاوز الصّدمات التي يتخبط فيها مجتمعه، فكان مساندا لمبادئ المشاريع الثّورية التحررية الهادفة، ولطالما ناشد بضرورة بناء أمة عربية قوامها الوحدة والتطوّر والسلام، بعيدا عن الطائفية أو العرقية التي ستؤزّم كل يحيط به من مؤسسات أو منظومات مهما كان انتماؤها ونوعها، ولم تأت هذه الصحوة اعتباطا بل جاءت بعد جهود رفضت السبات البائس، وطالبت بتحوّلات عميقة من شأنها أن تطوّر شؤون في الوطن العربي، بخاصة بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، فاستجمعت الدّول العربية قواها تحت

[1] هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2012، ص36.

مضمار القومية العربية التي دافعت عن قضايا عربية كالوحدة المغاربية، والقضية الفلسطينية، وغيرهما من المسائل السياسية والأيديولوجية العديدة.

وقد تباينت سبل الدّفاع عن القومية فكانت مادية ومعنوية وفكرية وقد كان للمثقفين والأدباء دورهم في تبنّي القومية نزعة في كتاباتهم، والاحتراف فيها بغية التغيير في بعض القرارات السياسية الجارفة، أو النظر في بعض المنعطفات التاريخية المظلمة، ليجدوا الحلول للكثير من المشكلات بالتزامهم وثوريتهم، ونزعتهم الوطنية والقومية، ولم ينجم هذا الجمع من العواطف إلا بفضل القضايا القومية التي هزّت كيان الأديب العربي والجزائري بخاصة، ووجّهته ليقول ما يليق بأمته من قول وتوصيف ولم "**تكن منطقة المشرق العربي وحدها التي عاشت الصّراعات الداخلية وهيأت الظروف لتوفير مناخ الفراغ، بل كانت أوضاع العرب في الأندلس وبلدان المغرب العربي، مشابهة ومماثلة لأحوالنا في المشرق**"[1] هذا ما ساعد على تهيئة الظروف للأعداء كي يستولوا على البلدان العربية بشتى الطرق، بحجة الامتيازات أو الانتداب أو الاحتلال وغيرها من المظاهر الاستعمارية الدنيئة.

والقضية الفلسطينية كانت من أهم القضايا التي عالجها الأدباء والشعراء بكل وطنية وقومية فدافعوا عنها وناهضوا وعد بلفور الذي نصب الحماية الظالمة على أراضيها الطاهرة فكان " **لابد أن يعنى الكتّاب بأحداث فلسطين ويراقبوا أعمال الاستعمار الانجليزي الذي نصب حمايته الظّالمة على هذا الجزء من الوطن العربي، ثم كان لا بد أن يتتبعوا ما تبيّته الصهيونية لأبناء فلسطين**"[2] وسيتم التّعرف على حيثيات هذه القضية، ومدى حضورها في الشعر العربي والجزائري في محاضرة القضية الفلسطينية ومركزية حضورها في النصّين العربي والجزائري.

وحين عالج الأدباء الجزائريون مسألة القومية استفادوا كثيرا من مفهومها وأبعادها " **فالقومية العربية بوضعها الحاضر كحركة فكرية وسياسية تزوّدنا بمقاييس نستطيع أن نستعملها في الحكم على صحة أو خطأ أو فشل أو نجاح التطوّرات السياسية والحلول الفكرية التي تطرح أمامنا**"[3] فيؤول

---

[1] هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين، مرجع سابق، ص90.

[2] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1 ، 2009، ص50.

[3] إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية، مرجع سابق، ص 145.

النصّ الأدبي الجزائري إلى جنس كتابي يقدّم المشكلة وحلولها ويسهم في تقويم المجتمع ومختلف أنساقه الفكرية والمادية ويضع أمام المتلقي كل الحيثيات المتعلقة بقضية القومية لأنها تجاوزت فرديته إلى الجماعة الواحدة المتوحدة دونما أدنى شكّ. ولعلّ "**الترابط بين الأهداف القومية والتّحررية يشكّل محور الفكر القومي والمواقف المعبرة عنه في هذه المرحلة، وقد كانت أول ترجمة عملية لهذه الإستراتيجية دعوة قيادة الحركة العربية الثورية لأعضائها بتجسيد وحدة النضال العربي**"[1] وأدباء كثيرون عبّروا عن هذه الأهداف ووطّنوا مغزاها والمتمثّل في النّضال والرجولية والشّهامة في مثل هذا النوع من المواقف المهدّدة لكينونة الوطن العربي وفي هذا الصّدد يقول شاعر الثّورة مفدي زكرياء في قصيدته المعنونة بـ" **ألا أين الرّجولة...يا لقومي**"[2]

ألا...أين الرّجولة...يا لقومي؟ ألا أين الضّمير؟؟ وأين غابا
وقالوا: قد تخلف عن مدانا عجوزٌ شاعر أصفى فتــابا
ولولا مركز الإسلام حـــــولي وفيه عزائمٌ تغزو الصِّــعابا
وفيه شَبِبةٌ تمحــو الخـطــايا وفيه جحافل تحدو الرّكابا
لعِفْتُ دُناكم..وطلبتُ موتانا ولم ألبس بها خــزيا وعابا
وكنت– على الجزائر– وهي أمّي أكبّر أربعا...وأعــضّ نابا

فالشّاعر ينطلق من تبرير واضح للعيان أنقذ القومية الضّائعة من غفلتها وموت ضميرها ويتمثّل في الإسلام الدّين الجامع للأمة العربية "**القومية العربية ليست مرحلة نضال تنتهي بانتهاء هذا النضال ليعود كل قطر بعد ذلك إلى شخصيته الخاصة، بل إنّ النّضال المشترك هو اليوم أحد شعارات القومية العربية المنبعثة من جديد لأنها التي خلقت هذا النضال وهي التي تغذّيه**"[3] فالقومية العربية صنعتها ظروف خارجية عديدة وبخاصة السّياقات الثقافية، كالدّين والتاريخ الذي عرف الاشتراكية كحقيقة لا ننفي دورها في توسيع القومية، وترسيخ مبادئها وأبعادها "**فالنّظرية القومية**

[1] إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية، مرجع سابق ، ص79.
[2] ينظر: محمّد ناصر، مفدي زكرياء، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989، ص228.
[3] ينظر: إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية (الفكر القومي)، مرجع سابق ، ص 117.

للفكرة العربية في هذه المرحلة تقوم على تحقيق الوحدة، والاشتراكية والوحدة هدف من أهداف نضال الأمة العربية منذ أن طرأت عليها التجزئة"[1] بفعل عامل الاستعمار الذي فرّق بين القوم الواحد، وغدا حافزا لظهور حركات سياسية تحرّرية وأحزاب عمّقت فكرة الوحدة وفي مختلف القطاعات.

وقد كان للشّيخ عبد الحميد بن باديس وقفة مع العروبة والعربية، وآمن بأنّ الجزائر جزء لا يتجزأ من الأمّة العربية الإسلامية لغتها العربية ودينها الإسلام" وهما من أبرز مقوّماتها ولا يتحقّق هذا الانتماء إلا بالوحدة العربية **"وهي نتيجة للانقلاب الرّوحي للمجتمع العربي، وهي أيضا في نفس الوقت سبب من أسباب هذا الانقلاب ودافع مثير من دوافعه"**[2] ولعلّ للجانب الرّوحي دوره البارز في تفعيل هذه الوحدة وتمتينها وفق ما يتماشى مع حقائق العقيدة الإسلامية وعبر الشعر الجزائري ذي الإيقاع المتناغم الذي يهزّ الكيان العربي/ الجزائري الرّوحي يقول ابن باديس في قطعته الغنية عن التّعريف بالنسبة للجزائريين كبارا وصغارا:

شعب الجزائر مسلـــــم	**وإلى العروبـــة ينتســـــــب**
من قال:حاد عن أصلـــه	**أو قال: مات، فقد كـــــــذب**
أو رام إدماجـــا لـــــه	**رام المحـــال من الطـــــلب**
الحمد لله ثم المجد للعرب	**من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي**
ونشروا ملّة في النّاس عادلة	**لا ظلم فيها على دين ولا نسب**
نحن الأولى عرف الزّمـــ	**نُ قديمنا الجـــمَّ الحســــــبْ**
ومعين ذاك المجـــــد في	**نســل العروبة مــا نضـــــب**[3]

[1] ينظر: إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية (الفكر القومي)، مرجع سابق، ص117.

[2] المرجع نفسه، ص99.

[3] ينظر: علي القاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس وريادة النّهضة العربية، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية، أعمال ندوة، منشورات المجلس، الجزائر، ج1، 2016، ص280.

يؤكد ابن باديس في هذه الأبيات بأنّ الإسلام والعربية هما أساس الوحدة العربية، ووحدة الوطن كذلك ترفض كل تقسيم أو إدماج لأي حضارة أجنبية، بخاصة وأنّ معظم الدّول العربية قد ذاقت مرارة الاستعمار ولازالت وقد عمّر الفرنسيون وسعوا حثيثا إلى إدماج الجزائر وسلخها من الوطن العربي، ولكن " **كان ردّ الإمام على قدر التّحدي، ردّ ينسف الأسس الاستعمارية، وقد صاغه ببلاغة وعمق، كما أسلفنا في شعار: الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا**"[1] وبهذه النّبرة الشجاعة والحاملة لمعاني الرّجولة التي تساءل عنها الشاعر مفدي في لا قطعة السّابقة، وجد كل جزائري مضطهد وطنيته، وكلّ عربي مُستعمَر قوميته الكبرى، وهي سلاح فكري ودرس قاس للفرنسي الغاشم، الذي لم يسطع على ثقة الشّعب بوطنيته وقوميته وبشعرائه، وأئمته الذين قدموا أشعارا حماسية استنهضت هممهم وزادتهم اعتزازا بعروبتهم ودينهم، فآمنوا بالوحدة التي تعدّ جزءا مهما للغاية من القومية العربية" **فالوحدة العربية ليست هي القومية العربية بل هي جزء من محتوى هذه القومية في مرحلة من المراحل، فالنظرية القومية للفكرة العربية في هذه المرحلة تقوم على تحقيق الوحدة والاشتراكية**"[2] لذا ارتبط الجزائريون بوطنهم ولغتهم وتاريخهم وثقافتهم، واستفحلت يقظتهم وزاد الإحساس بالقومية لديهم" **لأنّ الإحساس بالقومية وباللّغة العربية هو الطريق الصحيح للمحافظة على الوطنية والوطن، وهو سبيل الجزائر كي تسترد ذاتيتها وكيانها المستقلّ ووجودها الذي أراد الاستعمار محوه والقضاء عليه**"[3] ولكن فشلت في ذلك لأن هذه المقومات قد تجذّرت في نفوس الأفراد والشعراء بخاصة فقدّموها بديهيات يجب التسليم بها، والذود عنها بشتى السبل التي تطبّق أحكام الدّين.

ويتمنّى الشّاعر مصطفى الغماري أن نكون خير أمّة أخرجت للنّاس، فكتب عن واقع الأمة العربية قصيدة "واقع الأمّة" من ديوان "نقش على ذاكرة الزمن" يتأسى ويتأسف للعرب، ويبحث عن صوت

[1] علي القاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس وريادة النّهضة العربية ، مرجع سابق، ص 282.

[2] إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية (الفكر القومي)، مرجع سابق ، ص117.

[3] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص19.

الأمة الذي اغتيل ودفن، و بصورة موحية استطاع "الغماري" أن يصوّر لنا مدى الكآبة التي اعترته واعترت كل عربي، غيور على وحدة واستقرار الوطن العربي يقول[1]:

أسفا يا أمـــــتي	**قد نعانا الأســف**
آه أروي غربـَتي	**من دمي أغـــترف**
عرب نحن صحيحٌ	**أم وجوه من خشب**
ومآقيـــــنا قـــروح	**غائم فيها النّســب**
لست أدري ما هوانا	**أيســـار أم يمـــين**
والخطايا في خطانا	**ومرايانا ظنــــون**
ليلنا رقص وقصف	**وسويعات اشتهاء**
ومواعيـــد وخلف	**مات فينا الكبــرياء**

وهناك شعراء جزائريون كثيرون تطرّقوا –فخرا وحسرة– إلى واقع الأمة العربية في نطاق القومية فكتبوا أشعارا موحية وصريحة، وتوسّلوا اللغة الرّافضة واللائمة، مع نبرة جرسيّة خطابية تندّد بما يفعله الآخر مستعمرا أو منتدبا في هذا الكيان العربي الواحد كالسّائحي، وآل خليفة وابن باديس في بعض تجاربه، وغيرهم، فانفعلوا وأجزموا بأنّ القومية العربية لا تنحصر في تناقضات الواقع، بل تتجاوز هذه النّظرة الضّيقة إلى أن تنسحب على أغلب الميادين والأيديولوجيات المختلفة، فليست جزءا من تلك المفارقات بقدر ما هي وعاء ناجح لاحتوائها، ومن مختلف نواحيها.

وقد صارت "**وظيفة الشّعر عربيا عموما وجزائريا خصوصا، وظيفة نضالية في مسيرة الكفاح السّياسي من أجل الحرّية والاستقلال والوحدة سياسيا، ومن أجل الرّفاهية والتقدّم، اجتماعيا واقتصاديا وعلميا**"[2] وعلى الشّاعر أن ينطلق من التراث ومن الكثير من المفاهيم الحضارية ليترجم الواقع ترجمة سديدة بكل قضاياه الوطنية والعربية ، وقد برع "محمد العيد آل خليفة" في تجسيد الحسّ الوطني في العديد من قصائده وبخاصة قصيدة "أين ليلاي" التي اعتمد فيها المناجاة والترميز لما قصد

[1] ينظر: شلتاغ عبّود شرّاد، الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، دار مدني، دط، 2003، ص100.

[2] عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثّقافة الجزائرية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999، ص52.

بلده الجزائر التي تتوق للحرية والانتصار على المحتلّ، كما نلفي الحسّ القومي في العديد من أشعاره ومن أمثلته:

"نبني العروبة من جديد قلعة — من حولها قصف المدافع يرعد
فلتحي وحدتنا بها في منعة — ومن المحيط غلى الخليج تمدد
وليحي في ظلّ العروبة ودّنا — ملء القلوب وعهدنا المتأبـــد

ويقول أيضا:

بين المشارق والمغارب إخوة — لك عصبية بقلوبـــهم والأذرع
مدّوا إليك بها حبال إخائهم — فصلي حبال إخائهم لا تقطــعي"[1]

- **قضية الوحدة المغاربية :**

تطرّق الشعراء والكتّاب الجزائريون بخاصة أعضاء جمعية العلماء المسلمين إلى قضية الوحدة المغاربية ورأوا بأنها مهمّة في تجاوزها لمسألة الوطنية والفردانية، فنظروا نظرة قومية إلى المغرب العربي الكبير وألفوه أمّة تقتضي التكافل والتكامل في شتى الميادين، وعلى أهلها أن يؤمنوا بضرورة التآزر نظرا للظرف التاريخي والمتمثل في الاستعمار الذي لطالما سعى إلى نشر الفتنة والفساد بين دول المغرب العربي، بل وغمر فكرة وجود ما يعرف بالمغرب العربي لذا أصرت الجمعيّة على الدّفاع عن هذه الوحدة وتوعية الشعب بالقواسم العميقة والمشتركة بين شعوب الجزائر والمغرب وتونس **"فواجه الإصلاحيون الاندماج والتجنيس واجتهدوا في تعميق انتماء الجزائر إلى العالمين العربي والإسلامي والتعريف بالقضايا المغاربية والعربية، والدّعوة إلى وحدة الأمة وتبنّي قضية فلسطين"[2]** وقد كانت الوحدة المغاربية من أبرز القضايا الفكرية التي اهتم بها الأدباء الجزائريون وأسالوا فيها حبرهم الدّامي، والرّافض لأي ظلم أو تفرقة بين شعوب المغرب.

[1] ينظر: عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثّقافة الجزائرية، مرجع سابق، 61.
[2] بشير بلاح، التّدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية، مرجع سابق، ص389.

وقد كانت قضية الوحدة المغاربية حاضرة في قصائد شاعر الثّورة مفدي زكرياء الذي طالب شباب الشّعب المغاربي بالكفاح والنضال ضد اضطهاد الفرنسيين والإسبان، فوجّه خطابا خاصا لأبناء الرّيف يحثهم على المقاومة لأنّهم يعيشون الوضع نفسه، ويكابدون الآلام المتشابهة يقول:

بني الرّيف من كان يهوى الحياة ... يهون عليه ركوب الخطر[1]

فعرش السّـــــعادة لا يبتـــنى ... لقوم، سوى فوق هام آخر

وبيــن البـــــلاد ودستـورها ... ضحايا نفوس، وسجن أسر

وما الفخـــر إلا على ضمّـــر ... تلوح سنابكـها بالشـــرر

ولن يبلـــغ العزّ إلا الـــــذي ... على رشف كأس العذاب صبر

فحرية الشعب، صاح دمـــا ... وهل مهرها غير هام البشر

فكونوا للفداء وكونوا الضحايا ... ليحي الهلال، ويبقى الأثر

ويستمر الشّاعر في استنهاض هِمم المغاربة و الأفريقيين في خطاباته التي تحث على الوحدة التاريخية ومحاربة الجهل والاستبداد، والحفاظ على الهوية والنّهوض بالعلم لاسترجاع السيادة والحرية، فيخاطب الشباب بنبرة غيورة وحادّة مؤثرة:

نهوضا بني إفريقيا من سباتكم ... فإن عيون الحادثات بمرصاد[2]

تناديكم الأجداد من رمم الثرى ... فلبّوا إلى العليا دعوة أجداد

نهوضا بنا نحو الحياة ونظرة ... إلى أمة أمست ضحية أحقاد

كفانا شقاء من وبال شقاقنا ... وتمزيق مجموع وتشتيت أفراد

فهل نحن إلا أمة عربيـــــة ... شقيقة أرواح، قسيمة أكباد

وهل نحن إلّا أمّة أحمديـــة ... مقدّسة غرا سليـــلة أمجـــاد

[1] ينظر: محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص85.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص88.

فكانت هذه الكلمات اللّاذعة بدلالاتها الثّورية والقومية بمثابة الرّسالة الموقظة لأبناء المغرب الذين آمنوا بضرورة الوحدة على اعتبار عوامل تاريخية ومقومات شخصية تجمعهم وتزيد من تماهيهم، والأمل فيهم لتحقيق الانتصار ومواصلة كفاح الآباء والأجداد، كما استغلّ مؤتمرات عديدة لإلقاء خطاباته الشّعرية فيذكر الجزائر والمغرب الأقصى وتونس، ويشبّه الشّمال الأفريقي بالجسم الذي ينبغي أن تضمّ أجهزته وأعضاؤه، ولن يتحقّق هذا إلا بتضافر الجهود يردف قائلا في أبيات مؤثرة وجدّ موحية:

إنّ الجزائر في الغرام وتونسا والمغرب الأقصى، خلقن سواء[1]

نحن العروبة والشّمال بلادنا وبه نعيـــــش أعزة كرمـــاء

أرض مطهّرة، تضم ضلوعها مهجا، هناك، زكية ودمـــــاء

ومن الوحدة الوطنية إلى المغاربية وبقاموس ثوريّ مفعم بالألفاظ الموحية الرافضة للحدود التي إقامتها المستعمر بين شعوب المغرب العربي الكبير، والألفاظ المعبّأة بالطموح والأمل في تذويب الشّعوب في دولة واحدة، ومنع مساعي الفرنسة، وافتعال التشكيك العرقيّ في استغلال الأمازيغ، ونشر سياسة فرّق تسد في دول المغرب العربي لإلهائهم وجعلهم ينظرون إلى البلد الواحد على أنّه مجموعة بلدان.

هو المغرب الأكبر المستمدّ رسالاته من رسول الهدى[2]

ووحدة مغربنا اليوم خطو إلى وحدة المسلمين غدا

بتوحيد بعض نوحّد كلاّ وهل ينكر الخبر المبتدا

ومفدي كغيره من الكتّاب الجزائريين "**عاش مخلصا لمغربه وعقيدة التوحيد، في شغاف قلبه أنى توجّه، يتغنّى بها في أشعاره ويحلّل أبعادها في أحاديثه المذاعة، ويدافع عنها في مسامراته وندواته الأدبية، كما دأب على تحقيقها عمليا بتنقّلاته بين أقطار المغرب الكبير يعيشها معايشة**

[1] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق ، ص92.

[2] المرجع نفسه ، ص101.

المهتمّ"[1] والتأثر بديهيّ بالحركة الوطنية في المغرب العربي من الأدباء الجزائريّ، وللقومية العربية أثرها في إشاعة فكرة التوحيد من الوحدة المغاربية إلى الوحدة الإسلامية، ولم تقتصر الدّعوة على شاعر معيّن فمعظمهم كتب بكلّ ثورية عن شرف العروبة وعزة الإسلام وأمان المغرب العربية الكبير.

وفي حديثنا عن جمعية العلماء المسلمين فقد أيّدوا بقوة فكرة اتحاد دول المغرب العربي الكبير ونشروا مقالات عديدة حول فكرة وحدة الشّمال الإفريقيّ، فألقى عبد الحميد بن باديس خطبة في تونس بدعوة من الجمعية الخلدونيّة سنة 1937 وكلمة أخرى في "**حفل التلاميذ الجزائريين الزيتونيين والجمعية الوداية الجزائرية ...مشيرا إلى أنّ هذا الشّمال الإفريقي لا ينهض إلّا بتضامن بعضه مع بعض ،ثمّ تحدث عن الحالة العلمية في الجزائر وذكر أعمال جمعية العلماء وما واجهته من مصاعب في هذا المجال**"[2] والحال نفسه مع الشّيخ عبد العزيز الثّعالبي الذي تحدّث طوالا عن القضية المغاربية والفلسطينية باعتبارهما من أبرز القضايا الإسلامية التي تخصّ الأدباء والمفكرين الجزائريين.

- **الدّرس الثّالث: القضية الفلسطينية ومركزية حضورها النّصي في الأدب والجزائري**

لطالما اعتبر الأدب وعاء يستجمع شظايا الألم والحنين، ويرسل عبر صوره المتباينة آهات الشجون وغصص الرزايا، وذاك حال العديد من الشّعراء الجزائريين الذين صاروا يتجرعون الأحزان عبر كلمات جريحة تشدو بموسيقى الحسرة ما ألمّ بهم من مفارقات استدعت هي الأخرى تتابع الإيقاعات المعاتبة لغدر السّنين، والقلم السّائل بدماء الفلسطينيين الأبرياء جعل الشّاعر الجزائري يمتطيه ركبا لمواساتهم وتعزيتهم ونعي القلوب المليئة بالزّفرات المقموعة، فهو الذي ناهض الآخر بكل ما امتلك من ملكات ميّزت نظمه عن غيره من الشّعراء قد كان "**كثير من الجزائريين ومنهم ابن باديس في نهاية**

[1] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق ، ص101.

[2] مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1939، دار بني مزغنّة، الجزائر، 2015، ص130.

الأعوام الثلاثين من هذا القرن، تنبّأوا بسقوط فلسطين في قبضة اليهود"[1] لأنهم كانوا واعين سياسيا بما يكفي للتّيقظ لمثل هذه النّوايا الخبيثة، والمخططات التي تفعّل مكائدهم ودسائسهم تجاه العرب والفلسطينيين على وجه الخصوص.

ويقدّم الإبراهيمي توصيفا دقيقا لهذا النّوع من الاستعمار فيقول عن القضية الفلسطينية مخصّصا حديثه عن العدوّ الصهيوني وطبيعته:" **فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه ودواعيه وحججه وغاياته، يجتمع مع الاستعمار المعروف في أشياء، وتفرّق بينهما فوارق، منها أن الصهيونية تعتمد قبل كلّ شيء على الذّهب تشتري به الضّمائر والأرض والسّلام"**[2] هو يجزم بأن الأرض الفلسطينية اقتضت مقابلات مادّية وإغراءات كبير، ولم يتمّ غزوها باسم الاستعمار العسكري المسّلح أو لأسباب واهية، وإنما قدمت قربانا تحت طاولة التضحية بقطعة عربية لجنس لا وطن ولا مأوى له.

ولا نستغرب اهتمام الإبراهيمي بالقضية الفلسطينية فهو "**يولي كل هذا الشأن لهذه القضية في ذلك العهد الذي كانت فيه الجزائر ترسف في أغلال العبودية، فيها رؤية سياسية تقدّمية إلى هذه القضية"**[3] فالجرح واحد وقد فشل الاستعمار الفرنسي في فصل الجزائر عن الخارطة العربية والقومية بل زادت ممارساته الشنيعة من تعلّق الجزائريين بوطنهم وبأمتهم العربية والإبراهيمي ليس الأديب الجزائري الوحيد الذي تطرّق إلى القضية الفلسطينية في كتاباته بل شغلت غير من الأدباء كابن باديس والعقبي والمدني وآل خليفة ومفدي وسحنون، وقد نشروا عديد المقالات الصحفية يندّدون فيها بالجرائم الصّهيونية، وسياستهم الماكرة التي لم تقتصر على فلسطين فقط بل تجاوزتها إلى باقي الدّول العربية وبنبرة حادّة يتعصّب الإبراهيمي على الصّهاينة ولحال العرب الآسن "**وما أضلّ ضلال اليهود إذ يجرون وراء خيال الوطن القومي فيجرّون البلاء لفلسطين، ويزهقون روح سام بمادة الغرب**

---

[1] عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، 1889-1965، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص118.

[2] المرجع نفسه، ص121.

[3] المرجع نفسه، ص125.

المسمومة وسبحان من فاوت العنصرين في رقة الحسّ، ودقّة الحدس والأصل الواحد"[1] والشيخ غاضب من اليهود يتحسّر على العرب، ويتعصّب لهم ولما يتميزون به من صفات تسمو بهم وتجعل منهم عنصرا لن يتكرّر في خلقه وسماحته وأصالته.

كما نظم "آل خليفة" بعض الأبيات التي هاجم كل حرف فيها بإيقاعه الغاضب ما يحدث في الشرق الأوسط بعامة وفي فلسطين بخاصة، هاجمهم هو وغيره من الشّعراء الجزائريين الذين خلّدوا " **أبطال معركة القسطل، كما أهاجوا العواطف أثناء حرب 1948، وهاجموا التقسيم ونادوا بالثّأر وتوعّدوا اليهود، كل ذلك في شعر ينبض بالحب لفلسطين والنّقمة على أعدائها، والحزن على جزء غال من الوطن العربي تهدّده الضياع، وتقاسمته الأهواء:**

قل لابن صهيون اغتررت فلا تجر إنّ ابن يعرب ناهض للثّأر

سترى أمانيـــــك التي شيّدتــها منهارة مع ركنـك المنهار

القدسُ لابن القـدس لا لمشـرّد متصهين ومهـــاجر غدّار"[2]

تبرز هذه القطعة خطر الصّهيون وقوة التّحدي والصّبر على الشدائد هي صفات ميزت الأنا الفلسطينية، أما الآخر الصّهيوني رغم الهدوء، فالانفجار لا يزال يدوّي والسّكينة ستقاوم الموت الذي سيأتيهم من كل جهة ، وهذا ما يعبّر عن إنكار فكرة وجود المستعمر، ونفيه من الأراضي نفيا معنويا، هم مشرّدون بلا هوية ولا وطن.

كما اجتهد الشّعراء الجزائريون على أن توائم نتاجاتهم الشّعرية الذّوق العربي، وإن كلّفهم الأمر العودة إلى التّراث أو التاريخ لإبراز مدى حضور التّجربة الإنسانية وبمختلف أبعادها، حتى يسمو الخطاب الشّعري إلى أفق أرحب تستفحل معها الأحاسيس، وتدخل عالم التّاريخ بما هو ذاكرة جماعية

[1] عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص123.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص 109.

تسعى إلى حفظ الوقائع المهمة بغية تشكيل سجل يعود إليه المرء ليفيد من خبرات سابقيه فيقول "صالح خباشة" في مسألة تقسيم الأراضي الفلسطينية:

قسموا فلسطين الأبية واستباحوا المقدسا

نهبوا الدّيار وخربوها فوق أشلاء النـــّسا

كم من وليد مستغيث ألقـــموه مســـدّسا

كم من مصون العرض أصبح بالطّغام مدناسا[1]

ويضيف الشّاعر "**الأخضر عبد القادر السّائحي" سببا آخر إلى ما ذكره خباشة وهو أن الاستعمار الغربي يشكّل عنصرا قويا في ضياع فلسطين ويشهر به بهذا الأسلوب السّاخر**[2]:

والدّماء..؟

أنسيت..؟

بل متى أنت وعيت

أنت يا غرب "الزّخاء"

أبدا لسـت ثرانا

نحن – في الشّرق– غثاء

هكذا .. أنت ترانا.

والرّوابط كثيرة ولا تحصى بين الشّعبين الجزائري والفلسطيني، وكلاهما على يقين بأن القدس عربية وللعرب كل الحق في استرجاعها والدّفاع عنها " **فالإيمان بعروبة فلسطين واستعادتها جزء أساسي**

[1] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشّعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص98.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص99.

من الإيمان بالقومية العربية، وببقاء فكرة العروبة حيّة فاعلة في الضمير السّياسي العربي، والوجدان القومي، في كلّ أقطار الوطن العربي الكبير"[1] وقد حاول الشّاعر محمّد العيد آل خليفة تصوير صراع الفلسطينيين وثورتهم إزاء المسؤول الأول والمباشر على ما آلت إليه بلدهم، والمتمثّل في الإنجليز فيوصّف لنا هذا الرفض قائلا:

تشاجرت العمومة في دارها ولولاكم لما وقع الشّجار

غدا العبري للعربي خصما بها وكلاهما لأخيه جــارُ

ترون لها سوى العربيّ أهلا وتأبى التّرب فيها والحجاز[2]

ويقول مادحا الشّباب العربي الذي لن يتخلّى عن القضية الفلسطينية، وملهبا حماسهم:

فلسطين العزيزة لا تراعــي فعين الله راصدة تراعى

وحولك من بني عدنان جند شديد البأس يزأر كالسّباع

وإذا استصرخته للحرب لبّى وخفّ إليك من كلّ البقاع

يجود بكلّ مرتخص وغال ليدفع عنك غارات الضياع

بليت بهم صهاينة جياعا فسحقا للصّهاينة الجياع

ستكشف عنهم الهيجاء سترا وترميهم بكل فتى شجاع[3]

أما الشّاعر أحمد سحنون وبحكم انتمائه إلى الحركة الإصلاحية مثل محمد العيد، نظر بكل قومية ووعي للقضية الفلسطينية، وركّز على دور الشّاعر ويعطي " **قيمة لدور الأدب والشّاعر في المعركة وأنه مسؤول عن توعية الجماهير وتبصيرها بهذه القضيّة، وأن الشعر في حقيقته ثورة:**

---

[1] هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين، مرجع سابق، ص478.

[2] ينظر: عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشّعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص65.

[3] المرجع نفسه، ص ص (69-70).

ويا أغنياء المسلمين تسابقـــوا إلى البذل والإيثار..ذي ساعة البذل

ويا شعراء الضّاد حثّوا شعوبكم بشعر يداويها من الجبــن والبخــل

فما الشّعر إلا ثورة غير أنــها توصل بلا كفّ وتسعى بلا رجل[1]

وبذلك يصبح المنطلق للكتابة الشّعرية حول هذه القضية إنسانيا من أجل الإنسان، وبهذا تُستنطق خبايا النفس على الصّعيد الباطني ويكشف المسكوت عنه على الصّعيد الخارجي، فيساير الأديب ونّصه معاناة الأنا ويكابد ظلم الآخر الصّهيوني بقلمه، ونتاجه الشّعري المفعم بالترنيمات الأليمة المتفائلة في الآن نفسه.

كما يتفاعل الشّاعر "**موسى الأحمدي**" مع القضية القوميّة وينظم "قصيدته"**فلسطين تناديكم للجهاد" التي تسير على هذا النّسق، فهي أشبه بالنشيد الذي يمكن تلحينه والتي يقول في مطلعها:**

فلسطين نادتكم للجهاد فلبّوا النّداء يا حماة البـــلاد

وهبوا جميعا سراعا إلى حمى يعرب وانفروا للطـــراد

ومدّوا النفوس إليها فدى فتلكم–بني العرب– أرض المعاد"[2]

وقد وجد محمد العيد وسحنون والأحمدي وغيرهم من الشّعراء الجزائريين في خطابهم الشّعري الفرصة لكي يحاوروا الأنا العربية والفلسطينية المتألمة، ويعزوها في هذا الآخر الصّهيوني الذي قد لا يضطرّون إلى التّصريح لا باسمه ولا بجنسيته كمظهر من مظاهر القتل الرّمزي له، وعدم الاعتراف به وقد ينعتونه بالفاشي الذي لا يغيب عن القارئ المدلول العميق الذي تحمله هذه الكلمة، فهي التي امتدت عن النّازية الألمانية وهي الحركة التي تؤمن بتقديس الذّات، وتجاهل الأجناس الأخرى تتبنى النظرة

[1] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشّعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ، ص ص (72-73).

[2] المرجع نفسه، ص75.

الفوقية، وشعارها القمع والعنف الأبدي، أو بنعوت أخرى توصّف مدى انفعالهم وغضبهم إزاء ما يحدث في فلسطين.

كما بلّغ الشعراء الجزائريون بأبيات رصينة ساحرة عن قمع ذواتهم وذوات غيرهم من الفلسطينيين والعرب، بتسجيلة شعرية كانت أروع ما نظموه للقارئ –الجزائري والعربي–الذي يهتز وجدانه فخرا واعتزازا بالمقاومة والانتفاضة؛ لأنه يترنم لبنية ملحمية جسّدت انتكاس الأمة والحضارة، ويتأكد على أن غاية الفرد في هذا الوجود هي العمل على إثبات ذاته والعيش بكل عفوية وحرية، إلا أن الملابسات القاهرة، والظروف المناقضة لمبادئه قد تزعزع فيه يقينه بمثالية ذاته أو قدرتها على إدراك حقيقتها، فينسلخ منها ويصبح غريبا عنها تماما، ممّا يجعل ذاته الفعلية التي تتضمن الأحاسيس والآراء مسلوبة منه، وكذا الحقيقية من خلال السّعي الدائم نحو النّمو الفردي بشيء من الأصالة وقدر من القوة، يقول "مالك حداد" الذي لا يشكّك أي أحد في هويته ومدى تمسّكه بالوطنية والقومية على الرغم من كتابته بلغة العدو في العديد من مؤلفاته، ويسوق كلماته بكل عفوية مستعينا بمكوّنات طبيعية من حيوانات وأمكنة صارخة هي الأخرى بوفائها وإخلاصها بما يجري في الأقصى:

عربيّ نشيدي[1]

عربيّ طائر النّورس

عربية عندما تلمع فيها ديدان الربيع

عربي الخبز الطّيب ، عربية العاصفة

عربيّ هذا الفجر على حدود اللّيل

لأنّ الإهانة في داري..في تلك الزّاوية من الكون

تلك الزّاوية من بيتي الذي ألقى بي إلى الشّارع

[1] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشّعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص 105.

سأرجع إلى داري بعد شتاءات طويلة

وعلى نهج درويش يعبّر حداد وغيره من الشّعراء الجزائريين بلغة رمزية موحية، تتكئ الأصالة وأبرز مؤشراتها اللّفظية "عربي، خبز، طيب " وباعتماد الأمل شعارا بقاموسه الهادئ " النّورس، الرّبيع، سأرجع " مع إسماع دوي الغضب الذي لن يتحمّل العدوّ الذي دلّت عليه لفظة "شتاءات" لا قولا ولا فعلا " الإهانة، العاصفة، سأرجع" هي نبرة التحدّي التي اعتمدها آخرون كمفدي ومبروكة بوساحة و الطّاهر رحاب، والربيع بوشامة وغيرهم.

والملاحظ بأنّ معظم القصائد قد وردت تقليدية كلاسيكية خاصة قبل الثّورة حيث اعتمدت الأساليب التعبيرية السّائدة في الأدب العربي، من بحر وإيقاع وصورة وانزياح، ووحدة موضوع "**فكان الشّاعر ملتزما بالإيقاع المعتمد على الوزن الرتيب والقافية المطردة واقتفى الشّعراء أثر أقطاب مدرسة الإحياء، شوقي وحافظ ومطران**"[1].

وقد أيّد الشّعراء كتّاب النثر أيضا فقد استوعبت كتاباتهم المسترسلة السّردية منها غير السّردية القضية الفلسطينية، وترجموا ما يشعرون به والشّعبَ الجزائري تجاه الأزمة الفلسطينية، ففي" **الواقع أن الشّعراء لم يكونوا وحدهم فحسب هم الذين أحسّوا بما حلّ بفلسطين قديما وحديثا، بل شاركهم في ذلك كتّاب النّثر، وقبل هؤلاء الشّعب الجزائري برمته، الذي كان إحساسه بهذه القضيّة قويا وعميقا**"[2] وقد استطاع محمد السعيد الزّاهري أن يرسم للقارئ لوحة حزينة وجدّ مؤثرة تُشعره بمدى التّماهي بين الشّعبين، وبأن الهمّ واحد، فيربط ببراعة بين الواقعين الوطني والقومي فيقول: " **أرى في الجزائر أعينا باكية تفيض من الدّمع على ضحايا البراق الشّريف...وعواطف هائجة ساخطة على أولئك اللّصوص الصّهيونيين الذين اغتصبوا البراق، وعلى سياسة الإنجليز الجائرة**

[1] عبد اللّه ركيبي، الشّعر ...في زمن الحرّية، دراسات أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص158.

[2] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص47.

التي تجور على المسلمين وتحابي اليهود في فلسطين"[1] وقد وردت الصّورة موحية جدا بالوضع المأساوي المزري للشّعبين الجزائري والفلسطيني، فكلاهما يبحث عن نور الحرية والاستقلال.

وبالإضافة إلى القضية الفلسطينية تطرّق الأدباء الجزائريون إلى قضايا أخرى سياسية رئيسية وثانوية فتحدّثوا عن الجامعة العربية وعن عظماء المشرق "**وهناك قضايا عربية كثيرة عاشتها الجزائر في أدبها وفكرها، وفي أعصابها وجهادها، ومنها قضية فلسطين، واستقلال أجزاء من الوطن العربي كالسّودان وليبيا، وثورة مصر، وإنشاء الجامعة العربية، والمعارك الأدبية، ومناسبات التكريم أو التأبين لعظماء الشّرق من كتّاب وشعراء وقادة ومصلحين"**[2] فيقول – على سبيل المثال- الشّاعر محمّد العيد آل خليفة في قضيّة استقلال السّودان، ويعبّر عن فرحته الكبيرة بهذا الحدث العظيم:

ما أسعد السّودان باستقلاله فاليوم يرفع رأسه السّودان

اليوم يعقد تاجــه من أنجــم أرضية تسمــو بها التّيــجان

وتُظلّ رايته القُباب كأنــها قوس السّحاب تزينها الألوان[3]

ولا يتحوّل النّص الأدبي إلى وثيقة تاريخية تسجّل الأحداث أو تحفظها للأجيال، بل يتطلّع إلى الأمل الأفضل لهذه الأمة وللجزائر، ويقدّمها بكل فنّية تعزّي العربي في راهنه، وتجمّل له القبيح في بعض الأحيان حتى لا يمرض أكثر، كما يحمل الرسائل السّامية التي لم تقلها صرامة التاريخ العربي، وموضوعيته، فيعلّم الأخوة والإنسانية ويوعّيه بهذا المشروع الصّهيوني الخطير، ولم يقتصر التّحسيس بهذه الخطورة فقط على الشعر الجزائري بل كان للنثر دوره أيضا في إبراز حقيقة هذا الاستعمار الجاثم فكان لإبراهيم أبو اليقظان رأيه في حيثيات القضية الفلسطينية " **إن كل من ينظر ويدقّق البحث في قوادم المسألة وخوافيها، يجد أنّ المسألة ليست المبكى والبراق، وإنما حقيقة المسألة هي السّرطان الصّهيوني، النّاشب مخالبه في خناق العالم الظاهرة عوارضه في فردوس الإسلام وجنّة الأرضين**

---

[1] المرجع نفسه، ص51.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 108.

[3] ينظر: عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشّعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص131.

ومقرّ أنبياء الله فلسطين"[1] بالإضافة إلى كتّاب القصة القصيرة والمسرحية الذين نافحوا عن القضية الفلسطينية في كتاباتهم، واستنكروا لما يفعله العدو، وحتى لصمت العرب وتواطئهم أمام قضية كبيرة كهذه تمسّ أرض الأنبياء والمرسلين.

- **الدّرس الرّابع: الثّورة في الأدب الجزائري**
- **الثـّورة كمتخيّل تاريخيّ:**

إنّ فكرة التّأريخ لأحداث الثّورة وإحصاء مدى تواترها أو تقاطعها في الذّاكرة الإنسانية أو في النص الأدبي، يصادف اجترارا لا مفر منه تحت شعار "**التّاريخ يعيد نفسه**" في الحاضر ومجرياته، والذي من شأنه أن ينفّر القارئ من فكرة الصّبر على الاطّلاع والنّظر في هذا الخزين، فالمسألة رتيبة بالنّسبة إليه، ونمطية حيث يتخبط وعيه الكائن فيها، ويصبح معيشه اليومي ظلاّ لمواضع عديدة للتّاريخ القديم أو الحديث، ولن يجد سوى إيثار القراءة للعمل الفنّي المستعين بالتاريخ حتى يبعث في العمل التّساؤلات العميقة، يلعب بذلك الأثر دورا جماليا رامزا يؤكد على فكرة الوظيفة الشّعرية التي" **تنطلق من دالّ قديم لتعبر شعريا عن مدلول جديد**"[2] وبخاصة لو كان هذا الدّال هو التّاريخ القديم أو حتى الحديث (الثّورة مثلا)، والكاتب عندما يعيد قراءة التاريخ وكتابته لا ليترصد الثغرات ويتبع منهج المقارنة، بين ماضيه وحاضره، بل يسعى إلى تأسيس خارطة معرفية حافلة بالوقائع المقوّمة لأسلوب الحياة في الحاضر، إذْ إنّ الذاكرة الجديدة تستلزم القديمة، وبجلّ بناها الاجتماعية والسّياسية والاقتصادية وغيرها حتى تنطلق من جديد، وتثري خصوصيتها وتؤسس مخيالها التاريخي المميز، والذي ستتوسّله الأجيال القادمة في تطوير أنساق مجتمعاتها الكبرى.

للتّاريخ الفضل في تسخير المواد الخام من أحداث، وتطورات ومواقف حياتية للمبدع الجزائري حتى ينتج نصه الأدبي، وبنزاهة جلية أمّا التعمق في خباياه فذاك وجه آخر، يخفيه التاريخ الحافل

---

[1] ينظر: جريدة ميزاب، العدد 14، 1930.

[2] عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي، طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، دط، 2005، ص64.

بالمغمورات والمسكوت عنه، فـ "**الماضي الحاضر، حاضر بشواهده، وحاضر في ذهن المؤرخ، معرفة الماضي تكون نسبية، إذ تستجيب لمتطلبات الوضع القائم وتجيب عن أسئلة حالية**"[1] كما يستقل المتلقي على غرار الأديب برؤية ثاقبة ممحّصة، وواعية بمكوّنات التّاريخ المنصرم لذا فإن الدرجة الثقافية، والكمّ المعرفي مشروطان في المتلقّي الذي يستقبل مادة تاريخية بغية إيصالها بتجاوزات فنية تعتمد بدورها المفارقات اللّغوية والزمنية، ولا شكّ أنه ظهور يسمح به في عالم الإبداع والاستلهام " **كما أنّ عمليتي الاستلهام والاستيعاب، لا تتمّان إلا في إطار تلك الحركة الواعية باتجاه التاريخ، باتجاه يدعو إلى تجديد وعينا بالتاريخ**"[2] فليس بالهيّن على قارئ النّصوص التاريخية الجزائرية إدراك فحواها، ومدى نزاهتها في تسجيل الحوادث عبر الأزمنة والعصور، والوعي بالحقائق مشروط يرتكز الموضوعية واللّاتعصّب، وإبراز الخصائص بحسب المادّة المتوفرة حتى تتم عملية إعادة قراءة النّص التاريخي بنجاعة وفعاليّة.

ويرى بعض الباحثين والنّقاد "**بأنّ نقطة البدء في التاريخ هي الشكّ الذي لابد أن يسبق أيّ تصديق من أجل التثبيت من صحة الخبر**"[3] فالنّقل بالرّواية قد يحرّف الوقائع، ويطمس أساسيات المرجع التّاريخي الذي كرّسه العظماء في لحظة زمنية متميّزة، والمهمّة صعبة أمام الأديب/غير المؤرّخ فمنهجية البحث والتنقيب في الكتب التاريخية تتطلّب خبرة عميقة، ونظرة متميّزة تصنّف بعد الاستقراء، واستجماع الأحداث كلّ طارئ في خانته المناسبة زمنا ومعرفة ولعلّ كلّ "**ما نقرؤه من نصوص مختلفة عبارة عن صفحات لا تترك فراغات فيها، إنّها نصوص فكرية أو تاريخية حيث تمتلئ بالإشارات والتوضيحات والملاحظات، والشّروحات والتعليقات**"[4] وبتكرار هذه الحقائق التاريخية في العمل الفنّي تجعله يدنو إلى الحضور الفعلي أو الحقيقي، ولن يتحقّق فعل الحضور إلا

---

[1] عبد الله العروي، الحداثة وأسئلة التاريخ، عبد المجيد القدوري، عبد القادر كنكاي، قاسم مرغاطا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، ط1، 2007، ص46.

[2] بن مزيان بن شرقي، التاريخ والمصير، قراءات في الفكر العربي المعاصر، دار الغرب للنّشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط2 ، 2004 ص113.

[3] أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004، ص310.

[4] إبراهيم محمود، صدع النّص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 2000، ص45.

بالاستدعاء الجيّد والمنتظم، ويشعر القارئ بأنّ النّصوص متقاربة ومنسجمة "**وخاصّة إذا كانت متقاربة في موضوعاتها وبشكل أخصّ، إذا كانت تتداخل مع بعضها بعضا بأفكارها**"[1] ولعلّ الفصل بينها يستدعي وعيا وتهيئة معرفية، من شأنها أن تفكّ طلاسم هذا التّضافر الجليّ بين الأفكار ، وثبات التّاريخ لا يسنح بتوالي الوقائع وتغير الظّروف التي تستحضر لكي تدرس، ويتم استيعابها وفق معطيات جديدة تزيد من درجات الوعي بهذه الذّاكرة وعلى القارئ أن يتجاوز تقريرية التّاريخ إلى تذوق فنّي خلاّق، ومؤثّر في النّفس.

وتغيب المشاعر والعواطف في دراسات وبحوث المؤرّخ، فهو يتحرّى باعتماد الصّرامة العلمية ويتّكئ إلى التّشكيلات الاجتماعية والاقتصادية التي ستعينه في ضبط الحقائق، وتفعيل النّتائج على عكس القاص الذي يستضيف أحداث التّاريخ، وصنّاعه باعتماد التّخييل والتّجاوز الذي لا يقتضي استفاضة أو إسهابا، وإنما تقديم التّاريخ بأسلوب ممتع ومشوّق أما المؤرخ "**فيستطيع أن يجري دراسة مستفيضة منذ أن أوجدوا العدد الهائل من الوثائق التي رصدت الكثير من حياة الناس السالفة، ولكنّ معيار عمله هو اختفاء المشاعر أثناء دراسة تلك المصادر**"[2] ويتشارك الأديب الجزائري الذي يوظّف التاريخ ويستدعي أحداث الثورة بخاصة مع المؤرّخ في ضرورة الدّراية بقيمة التاريخ بأحداثه ووقائعه، وإبراز وزنه الذي يستحقه بوعي قائم على بحوث ودراسات" **فعندما يصف المؤرخ حدثا ما ويريد أن يعطيه وزنا وقوة تأثير يلزمه حتما ألا يكون مقتنعا بقيمته مسبقا أو بتفاهته مسبقا** "[3] وإعطاء القيمة من طرف القاصّ للتاريخ أيضا ضرورة ذلك أنّ الأعمال الإبداعية تعدّ همزة وصل بالغة الأهمية تربط القارئ بالموجودات المحيطة به سواء كانت أفرادا أو مؤسسات.

---

[1] إبراهيم محمود، صدع النّص وارتحالات المعنى، مرجع سابق، ص51.

[2] جعفر نجم نصر، الأنثروبولوجيا التّاريخية، الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية، دار أوما، للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2013، ص41.

[3] عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، مرجع سابق، ص93.

أوّلا/ الثّورة وتداعياتها في الأدب الجزائري؛ الحضور والأبعاد:

إنّ الثّورة في حدّ ذاتها حلم، وهي القوة الخارقة التي أيقظت قديما الأنا من غفلتها، ليتحقق مبتغاها وتقوم قائمة الواقع الحلم الذي يفرض على الفرد التعرف على نفسه في حضور هويته، لأن الثورة يكتمل انتصارها عندما تتعرف هذه الأنا على سلبياتها وإيجابياتها، بدلا من أن تكون نتاجا لممارسات الآخر الذي سيزيدها اغترابا على اغترابها، وهي الكينونة التي"**يختلط فيها الفكر والخبرة والوعي والممارسة لإنتاج الفاعلية الثورية**"[1] وقد حضرت كتيمة بشكل لافت في النّصوص الجزائرية الشعرية منها والنثرية فقد تغنّى بها شعراء كثيرون وأشادوا بمجرياتها وأبطالها سواء كانوا مجاهدين أو شهداء، وقد صوّر هؤلاء الكتّاب تفاصيل قد لا ينتبه إليها المؤرخون في توصيفاتهم وذلك بتوسّل اللوحات الفنية التي زادت من إيصال أصواتهم إلى جانب صوت الثّورة الأكبر، فتحدّوا بقولهم ووطنيتهم، وبيان شعرهم ولغتهم المتميزة بسحرها وهمسها ما يفعله المستعمر في الشعب الجزائري حيث " **استطاع بعض الشّعراء الجزائريين من أمثال السّائحي، وزكرياء، وشريط، وسعد الله، وباوية، أن يدركوا ما في الهمس من سحر، واستطاعوا في الوقت نفسه أن يعبروا عن مواقف ثورية وهم يستخدمون هذه اللغة، فأكسبوا لغتهم جاذبية ووقعا خاصا...فالشاعر القوي هو الذي يهمس فنحسّ صوته خارجا من أعماق نفسه في نغمات حارة**"[2] وللغة دورها البالغ في إيصال المواجع والأحزان وكل ما هو مظلم وغامض ولكن بكل شعرية وواقعية في الآن نفسه، فقد احتاج الأديب الجزائري إلى معالجة الواقع والوجدان معا فيجد ذاته المقهورة والتائهة داخل نصّه، ويكسب لغته اتساق وانسجاما سواء كان شعرا أم نصّا نثريا /سرديا فقد "**عزّزت النزعة اللغوية في الكتابة التاريخية اعتماد التاريخ على اللغة والسّرد مصدرا لأدلته وتواصليته على حدّ سواء بوصفه قصّة...وإنّ خدعة السّرد تقرض الماضي شكل القصّة، وتشرّب أحداث الماضي بالتماسك والوحدة**

[1] عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى جدار للكتاب العالمي، عمان – الأردن ، ط1، 2009، ص161.

[2] محمّد ناصر، الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنّية، 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 ، 1985، ص325.

والامتلاك والغلق"[1] ولهذا فإن المواقف الثورية لم تصل إلى نفس القارئ إلا بلغة شعرية ملحمية تارة، أو بلغة شفافة لا غبار عليها تتكئ الواقعية في سرد ما يجري بالبلاد فتصل بأساليبها المتميزة تارة أخرى.

وما يؤسفنا كقراء جزائريين يبحثون عن التّاريخ الموضوعي والتاريخ الذي أعيد قراءته وإنتاجه بكل فنّية هو أنّ "**معظم الثّورات والمقاومات لم تدرس حتى الآن بطريقة لائقة وموضوعية؛ لأن معظم وثائقها مازالت جاثمة ومكدّسة وحبيسة صناديق دور المحفوظات دون اطّلاع الباحثين عليها ودراستها**"[2] وعلى الأديب الجزائري أن يخرجها من حبسها وأسرها، ويتيقّظ إلى ضرورة الإحاطة بأغلبها إن نقل بها كلّها، فيصوّر الشجاعة كاملة في مواقف بطولية مكتملة تحتمي بصرامة التاريخ ونزاهة حقائقه الموثقة والموثوق بها، وكذا بجودة التّصوير والتّخييل الذي يتيحه الإيقاع إن كان الخطاب شعرا أو النّسيج السّردي إن كان نصا سرديا.

ولحضور الثّورة في الكتابات الجزائرية أبعاد عديدة فهي المادة والموضوع، وهي المنطلق والوطر، فلا ينبغي للكاتب أن يستغل تيميّتها ويجعل منها هالة أسطورية؛ حتى تغدو حشوا لا يخدم النصّ بقدر ما ينزلق به إلى مزالق تعيبه وتخلّ بجودته، ولا ينبغي أن يقول الكاتب الثّورة بلغة بليدة جافة لا يتحسّس قارؤها صدق أحداثها وشجاعة أبطالها، أو يقولها أحداثا متراصّة لا روح فيها وكثيرا ما ينتقد القراء رتابة الأحداث الثّورية في عمومية انتقاء الكتاب لشهداء معروفين فهي" **مستخرجة من البيئة والواقع الجزائريين، كاستعمال بعضهم لبعض الأسماء التي ارتبطت بأمجاد ثورة التحرير، مثل أسماء الشّهداء المشهورين فنجدهم يذكرون من حين لآخر ابن مهيدي، وديدوش مراد،أو أسماء بعض الأماكن ذات الإيحاء الثوري مثل "ساحة الشّهداء" وساحة "أوّل ماي" و"القصبة""** [3]معينين مثلا كشخصيات جذع في أعمالهم الأدبية أو بعض الأمكنة الشهيرة، والمؤتمرات المعروفة وغيرها من الوقائع

---

[1] كيت ميتشل، التاريخ والذاكرة الثقافية في الرواية الفكتورية الجديدة، تر: أماني أبو رحم، دار نينوى للدراسات والنشر التوزيع، دمشق، سوريا، ط1 ، 2015، ص49.

[2] إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص236.

[3] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص563.

التي حفظها الجزائري فقد استطاع الكاتب الجزائري أن يتجاوز هذا الاجترار في كتاباته، ويقدّم رؤية فنية ممزوجة بواقع مزري وأليم دون أدنى مبالغة، وهذا ما يفسرّ تباين الأطر الفنية التي قدمت الثورة على الرغم من التّقاطع الغالب في أسماء الشّخصيات أو البنى الزمكانية في المتون السّردية الجزائرية بخاصة " **فالثّورة التحريرية تجاوز تأثيرها في شعرنا الجزائري إطارها التاريخي(1954–1962) إلى المراحل التاريخية اللاحقة، وبين مرحلة وأخرى تختلف الرؤيا الشعرية وتتباين أطرها الفنّية**"[1] وحتى إلى يومنا هذا ستبقى خالدة في الأذهان؛ لأن وقعها تجاوز الفرد الجزائري إلى العربي الذي قدّسها هو الآخر، غدت خزينا ماضويا مقدّسا، تتناقله الأجيال اللّاحقة اقتداء وانبهارا.

ثالثا/ نماذج من الشّعر الجزائري حول تيمة الثورة:

لا يغيب عن القارئ الجزائري والعربي على حدّ سواء أن الشّاعر الذي برع في توصيف الثّورة إلى حدّ التقديس في نظمه البديع هو مفدي زكرياء الذي استطاع أن يقدّمها بمختلف الطّاقات التصويرية التي قد يعجز الكثير من الشعراء تقديمها مثلما يفعل شاعرنا، وقد استدعى القرآن والتاريخ والأسطورة والطبيعة، ليرفض ما يجري من ظلم وجور في الجزائر، ويعارض النّظرية الاستعمارية التي ترى العدوّ خيّرا وبريئا، والمستضعف خطر على العالم والبشرية نظرا لجهله وتخلّفه "**فلا يقرّ الخطاب الاستعماري بالمساواة، ولا يؤمن بالشّراكة الإنسانية في القيم العامة، وتقوم فرضيته على ثنائية ضدّية، فالمستعمِرُ ممثّل للخير وسمو المقام والرفعة الأخلاقية والتقدّم، أما المستعمَرُ فمستودع للشرّ والانحطاط والدّونية والتخلف، ولا سبيل للقاء بينهما إلّا حينما يدرج المستعمَرُ تابعا للمستعمِرِ**"[2] وكانت كتابات مفدي وغيره من الشّعراء الثوريين بالمرصاد لهذه المعادلة الخاطئة فيما تنصّه، ولطالما آمن بأنّ الرّصاص هو الفيصل والسّبيل لاسترجاع السيادة والحرية، فقال" معتدّا بالثّورة الجزائرية بعد أن خذلتها المنظمة الدّولية:[3]

---

[1] يوسف وغليسي، في ظلال النّصوص ،تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 2009، ص102.

[2] عبد الله إبراهيم، التّخيّل التاريخي، السّرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسّسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1 ، 2011، ص243.

[3] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص111.

نطق الرّصاص فما يباح كلام وجرى القصاص فما يتاح ملام

وقضى الزّمان فلا مردّ لحكمه وجرى القضاء وتمت الأحكـــام

وسعت فرنسا للقيامة وانطوى يوم النّشور، وجفـّـت الأقـــلام

..ما للقيامة في الجزائر أرعدت فغدا لها في الخافقـــين غمـــام

والشّعب شق إلى الخلود طريقه فوق الجماجم والخميـــس لهـــام

لا النّار، لا القتيل يثني عزمه لا السّجن، لا التنكيل، لا الإعـدام

كما أشاد شاعر الثّورة في مواضع عديدة بليلة أوّل نوفمبر المباركة والخالدة التي "**لم يجد لها مثيلا في الجلال والعظمة، إلا ليلة القدر تلك الليلة الحاسمة الفاصلة التي نزل فيها القرآن الكريم ليحول مجرى تاريخ البشرية من العبودية إلى الحرية، ومن ظلام الجاهلية، إلى نور الإسلام يقول مفدي زكرياء:**

دعا التّاريخ ليلك فاستجابا نفمبر، هل وفيت لنا النّصابا

وهل سمع المجيب نداء شعب فكانت ليلة القـــدر الجـــوابا

تبارك ليلك الميمون نجما وجلّ جلاله، هتـــك الحجابا

زكت وثباته عن ألف شهر قضاها الشّعب يلتحق السّرابا

تنزل روحها من كلّ أمـــر بأحرار الجزائر قد أهـــــابـــا"[1]

هذا فيما يخصّ الزمن الثوري أما المكان فقد حضر هو الآخر بكونيته ورمزيته في العديد من الأشعار الجزائرية التي جسّدت الكفاح والنضال في لوحات فنّية امتزجت فيها المشاعر الثورية والوطنية وكره المستعمر الغاشم، فيبدع الشّاعر" أبو القاسم سعد الله" في قصيدته الثّورية "**ثائر وحبّ**" يمجّد منطقة الأوراس ويعتبرها رمزا تاريخيا خالدا، يختزل كلّ مجريات الثورة المجيدة، وكلّ الجهاد الذي رافق الجزائيين طيلة السّنوات المتأججة:

[1] محمّد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص472.

" أوراس والدّماء والعرق

وصفحة السّماء والغسق

والأفق المحموم راعف حنق

كأنه وجودي القلق

قد ظمئت عيونه إلى الفلق

وسال من أطرافه، دم الشّفق

ونجمة من الشّمال تحترق

كقلبي الذي يدقّ

بذكرك العبق

حبيبتي..."[1]

ويقول الشاعر "**عزّ الدين ميهوبي**" في الأوراس أيضا:[2]

عمري تساقط أحرفا	**صخرية بين الذرى**
كنت الصّنوبر في الشّموخ	**وكنت أوردة الورى**
إنّي اعتصرت مواجعي	**وكتبت ملحمة الثّرى**
أوراس يا لغة الزّمان	**ويا فما متفجّرا**
في البدء كنت قصيدتي	**والبدء فيك تجذّرا**

ويقول عن الأوراس جاعلا إياها قبلة الشهادة والشّهداء أيضا:[3]

[1] محمّد ناصر، الشّعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص ص (533-534).

[2] يوسف وغليسي، في ظلال النّصوص، مرجع سابق، ص147.

[3] المرجع نفسه، ص148.

أ أوراس ..يا قبلة للفداء يطوف بها الدّهر والشهداء

أغار عليك من الدّهر لكن أغار –أنا– منك عند المساء

أ أوراس لو كان للعشق تاج لعانق مجدك فلك السّمـــاء

أصوغ من الصّخر مليون عقد وأرسم للفجـــر باقـــة ورد

لعينيك أوراس أكتب شعرا يزلزل صخرك من فرط وجدي

كما استدعى الشّعراء أمكنة ثورية عديدة تكتنز معها ذكريات الثورة والتاريخ مثل "ساحة الشّهداء"، و"ساحة أول ماي"، أما في القصص الجزائرية نلفي خطّ موريس وسجن الكدية وغيرهما من المواضع التي تمّ تخطيبها فآلت إلى خطابات شعرية وسردية تعجّ بالأحداث والشّخصيات التي صيغت بلغة شعرية موحية جدّا بعمق الألم والمعاناة آنذاك.

وقد حضر الآخر الفرنسي "المستعمِر" في قصائد العديد من الشّعراء الذين خاطبوه بنبرة التحدي والتنديد، يوجّهون له كل الاتهامات، وقد يهزؤون به بلغة ساخرة تبتز عجرفته وتسلّطه الذي زاده إصرارا على البقاء في الجزائر والسعي الحثيث نحو فرنستها كليّا، فيقول أحمد معاش في إحدى قصائده متحدّثا عن **" الحرية التي سلبها الاستعمار من الشّعب بمقتضى الحديث عن سالبها أي فرنسا:**

زعمت حينا فرنسا أنّـــ أطفأت في الشّعب مكتوم الضّرائم

واحتفت باريز بالقرن الذي وأدتنا فيه عامـــا بعد عـــــام

فإذا الموؤودة عادت روحه وتجلّت مقل أشبـــــاح الظّــلام

وإذا البرق توالى ومضـــه فأضاء الكون من خلف الغمـــام

وإذا الحرب يدوّي رعدهـا وإذا باريـــز تلقـــي بالزّمـــام"[1]

وللكاتب معاش مجموعة قصصية بعنوان "شموع لا تريد الانطفاء" قصصها مفعمة بالحسّ الثوري تقول الوقائع والفظائع، ومعاناة الأفراد والجماعات، على غرار الطاهر وطار في "الشهداء يعودن هذا

[1] عبد الله ركيبي، الشّعر ...في زمن الحرّية، مرجع سابق، ص75.

الأسبوع" ، وداسة في" من هزائم الرّجال" وأحمد دودو في بحيرة الزيتون" وغيهم من كتاب القصة القصيرة، ولا ننسى كتاب الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية والعربية لمحمد ديب وكاتب ياسين ومالك حداد معمري وفرعون، وجبار وبوجدرة، أما العربية فمع بن هدوقة ووطار، والأعرج، وبقطاش، وحتى في الرّوايات الجديدة التي عادت إلى التاريخ الثوري ونسجت أحداثها منه في محاولة منها لإعادة القراءة والإنتاج بكل فنية متميّزة، مثل كتاب الأمير للأعرج الذي اختار أمير المقاومات الشعبية "الأمير عبد القادر" ورواية كولونيل الزبربر" للحبيب السّائح.

ويردّ مفدي على الفرنسيين حين زعمت "**بأن الأجانب سيضطهدون إذا استقلت الجزائر ويذيعون في الرّأي العام هذه الأكاذيب، كي يبرروا بقاءهم فوق تراب الجزائر:**

وقالوا: في الجزائر سوف يلقى أجانبها –إذا انتصرت– تبابا
هم كذبوا، ومالهم دليـــــلُ وكان حديثهم –أبدا– كذابا"[1]

ولم يعتن الشّعراء بالزّمان ولا بالمكان الثّوريين فقد بل أولوا عناية كبرى للأشخاص الذين صنعوا هذه الثّورة مثل مفدي الذي فسح المجال في خطاباته للمجاهدين والشّهداء، حيث صوّر نضالهم وجهادهم في مشاهد جدّ مؤثرة ، ولعلّ أبرز صورة جسّدت للقارئ مرارة اللّحظات الأخيرة التي يعيشها البطل الشهيد هي قصيدة " **الذّبيح الصّاعد**" والتي تتحدّث عن بأس أوّل شهيد يمشي بكل أنفة وعزة نحو مقصلة سجن "بربروس" الشّهيد أحمد زبانة:

قام يختـــال كالمسيـــح وئيـــدا يتهادى نشوان يتلو النّشيدا
باسم الثّغر كالملائك أو كالطّفـ ل، يستقبل الصّباح الجديدا
شامـــخا أنفه جـــلالا وتيـــها رافعا رأسه يناجـي الخلـــودا
رافلا في خلاخل زغردت تمـــــ لأ من لحنها الفضاء البعيـــدا
حالما كالكليم، كلمة المجـــ ـد، فشدّ الجبال يبغي الصّعودا

[1] عبد الله ركيبي، الشّعر في من الحرية، مرجع سابق، ص89.

وتسامى كالرّوح في ليلة القـــد ر، سلاما يشعّ في الكون عيــد

وامتطى مذبح البطولة معـــــ ـراجا، ووافى السّماء يرجو المزيدا

وتعالى مثل المـــــؤذّن يتلـــو كلمات الهدى، ويدعو الرّقــودا[1]

وفي القصيدة الثّورية " منطق الرّشاش" يلهب الشاعر "**أبو القاسم خمّار**" الثائر الجزائري ويزيده أملا في القدرة على استرجاع الحرية والاستقلال، وبنيرة التّحدي وحروف مجهورة مدوية مثل دويّ المدفع والرّشاش قدّم الشاعر أبياته لكل جزائري مناضل ، وغيور على وطنه المضطهد:

لا تفكّر ...لا تفكّر ...

لهيب الحرب زمجر...ثمّ دمّر...

في الذّرى السّمراء من أرض الجزائر...لا تفكّر...

مزّق الأحياء...أشلاء...وبعثر..

حطّم الطغيان...كسّر...

وانشر الإرهاب...والنّيران...أكثر

ثم أكثر

وإذا ناداك غرّ...فتحجّر...

وتمرّد...وتكبّر...لا تفكّر...

سوف تظفر

قوة المدفع...والرّشاش...أكبر...[2]

والشّاعر الجزائري إنسان له مشاعره وأوجاعه، يحب السلام والعيش بأمان فرض كمثقف وكإنسان الحرب الظالمة وهذا ليس بالجديد على الأدباء العرب والغربيين "**فيمكننا أن نعيد إلى الأذهان رفض**

[1] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص151.

[2] محمد أبو القاسم خمّار، ظلال وأصداء، الجزائر، ط2 ،1982، ينظر: يوسف وغليسي، في ظلال النّصوص، مرجع سابق،ص 104.

الأدباء والفنانين للحروب الظّالمة ودفاعهم عن الحرية، كلّ بطريقته الخاصة مثل قصيدة إليوت الشهيرة "الأرض اليباب""[1] وتشابه الأوضاع الاجتماعية والتاريخية أدّى بالأدباء العرب والأجانب إلى أن يكتبوا عن مختلف القضايا السّائدة على اعتبارها قضية واحدة، بخاصة إذا تعلّق الأمر بالحروب وجرائم الإنسان ، لأنّ الإنسانية شعار الأدباء والشّعراء بوجه خاصّ وهذا ما يفسّر وصول أصداء الثّورة التحريرية إلى البلدان العربية والغربية فأصبحت قضية العالم بأسره بفضل التأييد الخارجي لغايتها النبيلة، فنظم شعراء عرب كثيرون أجمل القصائد في الثورة المجيدة وفي نوفمبر الخالد، وحتى في الأوراس وفي بوحيرد وغيرهم مثل الفيتوري، وشفيق الكمالي، وعبد الوهاب البيّاتي، وأنس داود، ....وشعراء عرب كثيرون انبهروا بسنوات الثّورة، ومنجزات أبطالها فصوّروها بنفس ملحميّ متطلّع لنور الانتصار، وقد طغت تيمة الثّورة في الشّعر الحر بشكل لافت لأنّه كان مناسبا جدا لتصوير مشاعر الغضب والرغبة في التحرّر مثلما تحرّر الشعر من قيود التفعيلة ومن القافية الواحدة والرّوي الواحد وغيرها من الشروط التقليدية التي ألفها العرب من العصر الجاهلي إلى غاية النّهضة الفكرية والأدبية في المشرق والمغرب.

ويثور رمضان حمود على الشّعر التقليدي بلغة قاسية نوعا ما، ويقرّ بطموحاته التّجديدية في الأبيات الآتية:

أتوا بكلام لا يحرّك سامعـــــــا عجوز له شطر وشطر هو الصّـــدر
وقد حشروا أجزاءه تحت خيمة كعظم رميم ناخـــــر ضمّه القبـــر
وزيّن بالوزن الذي صار مقتـفى بقافية للشـــطّ يقذفـــــــها البحـــر
وقالوا وضعنا الشّعر للناس هاديا وما هو شعر ساحــــــــر لا ولا نثـــر
ولكنّه نظـــــــم وقول مبعثـــــر وكذب وتمويه يمـــــوت به الفـــــكر[2]

ولم تكن الكتابات تحتوي الثورة فقط بل تحتوي أبعادها ومراميها، إذ تحدث التغيير الذي سيستقر معه الوضع السّائد، إذا كانت إيجابية، وهذا هو حال الكتابات الشعرية فقد تجاوزت الآليات القديمة

[1] عبد الله ركيبي، الشّعر في زمن الحرية، مرجع سابق، ص132.
[2] محمّد ناصر، رمضان حمّود، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص118.

وواكبت المستجدات المادية، وجاءت –هي الأخرى– استجابة للحاجات النفسيّة التي تخبّط فيها الفرد الجزائري المقهور آنذاك.

وقد نشر أول نصّ شعري حرّ في جريدة البصائر لأبي القاسم سعد الله بعنوان "**طريقي**" وقد كانت الثورة في أوج لهيبها وذلك سنة 1955، وقد انتقينا هذه القصيدة على سبيل المثال لا الحصر لأن هناك شعراء آخرون اختاروا الشّعر الحرّ للتّنفيس عن أوجاع الجزائريين المتعطشين للحرّية والاستقلال مثل رمضان حمود وصالح خرفي والصّالح باوية وغيرهم.

يقول سعد الله في قصيدته "**طريقي**":

يا رفيقي

لا تلمني مروقي

إذ أنا اخترت طريقي

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السّمات

عاصف الأرياح وحشيّ النّضال

صاخب الشّكوى وعربيد الخيال[1]

هي حروف حرّة متحررة تناجي الحرية وتتأهب لكل عدوّ حاقد برسمها طريق الحرية والسّلام والانتصار، كلّ صوت داخل هذه القصيدة ينبئ عن الويلات التي عاشها الفرد الجزائري المقهور فاختار هذا المسلك المليء بالتحدّي والمغامرات، بالشّوك والجهاد المثمر، حرة تلك الأسطر المتأجّجة بحرقة الجزائريين على أرضهم المستعمرة، ولن يحرّرها إلّا صمودهم ووطنيتهم وإيمانهم المتجدّد.

[1] مرجانة بوخوش، تحكّم الأنساق الثقافية والاجتماعية في الشعر الجزائري الحديث، مجلة إشكالات، ع7، ماي، 2015، ص188.

- **الدّرس الخامس: القضايا الإصلاحية (إصلاح الأوضاع الاجتماعية ومحاربة مظاهر التّخلف)**

أوّلا/ الفكر الإصلاحي في الأدب الجزائري وقضاياه :

عاشت الجزائر ظروفا تاريخية واجتماعية مزرية فرضها الواقع الاستعماري بمرارته وبكلّ ممارساته الشنيعة في حق الشعب الجزائري الذي تضرّر ودفع ثمنا غاليا إزاء ما ارتكبه هذا المستدمر من جرائم مادية وأخرى معنوية فتدهور المجتمع الجزائري، وتقهقرت الأوضاع، وساد الفساد والتخلّف وتفشّت الأمية بشكل لافت ومستفحل، فظلّ الفرنسيون يحاربون كل قاعدة متينة قد تُرجع للجزائريين كرامتهم وعزتهم أو قد تنهض بالمؤسسات التي لم تبق على حالها، ولكن الوعي واليقظة كانا حاضرين في العقول والقلوب، وما زاد من حضورهما هو تأثر الجزائريين أشخاصا ومثقفين بالمشارقة، وبالحركة الإصلاحية ممّا فتّح –التأثر– العيون وأنار العقول، وأيقظ النّفوس من غفلتها، فكان للفكر الإصلاحي (المشرقي) دوره البارز في توجيه المثقفين وتكليفهم بمهام عديدة عليهم الدّفاع عنها في كتاباتهم سواء كانوا مفكرين أو أدباء أو علماء دين، فقد كان لزاما عليهم تحمّل القدر الأكبر من المسؤولية وإصلاح الفساد، وبث القيم النبيلة القائمة على قواعد الدين الإسلامي وهو ما سعى إليه الرّواد الأوائل للحركة الإصلاحية في الجزائر فالمؤسسون الأوائل لجمعية العلماء المسلمين" و**في مقدمتهم العلامة الفضيل الورثيلاني والسّعيد صالحي نظموا العمال الجزائريين المهاجرين والطلبة في جمعيات، وأسّسوا مدارس وأندية باسم التّهذيب هدفها تعليم العربية والإسلام وترسيخ الوطنية"**[1].

وقد ارتكزت العملية الإصلاحية على إنشاء مدارس تربوية تحارب الجهل والأمية، والفساد وتغرس الخلق الكريم والقيم النبيلة في نفوس الجزائريين ومن أبرزها المدرسة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين والمسماة بمدرسة دار الحديث بتلمسان "**وقد سجّل التّاريخ بأن هذه المدرسة أمست تخرج المثقفين وأولي الأذواق الرفيعة في تشرّب منابع الأدب العربي في أنقى صوره وأرقى أساليبه**"[2]

[1] محمد بن ساعو، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية، مرجع سابق، ص28.

[2] عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق،ص23.

ولكنّها تجاوزت تعليم العلم والأدب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث استغل المدرسون هذا الحيّز التّعليمي لتربية الأجيال أيضا وتعليمهم الأخلاق العميدة وكلّ فضيلة ستسمو بهم وببلدهم، كما كانت تلقى فيها القصائد من شعر أدباء جزائريين معروفين ،كما تُقدّم فيها الخطب التوجيهية التي كانت تربّي النشء وتعلّمه اللغة ومبادئ الدّين.

فالإصلاح في الجزائر إبّان الاحتلال بخاصة كان قائما على ركيزتين: العلم والأخلاق "**فالإصلاح العلمائي في الجزائر كان يقوم على نشر العلم أساسا، وذاك سلوك فكري سليم ذلك بأنّ تعليم النّاشئة مبادئ الدّين السّمح وتلقينهم معارف من العلم تجديهم في الحياة وتفيدهم في السّلوك تجاه النّاس**" [1] ولعلّ الغاية المرجوة من العلم والتعليم في الجزائر حسب الحركة الإصلاحية هي تهذيب السّلوك وتقويم الأخلاق وتكوين فرد صالح وناجح، يعي جيدا ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه مجتمعه فغرس الفكر الإصلاحي في هذا الفرد وفي المجتمع حبّ الوطن والمواطن، وضرورة معاملته بما يتواءم والخلق الكريم، لهذا تمّ اعتماد الفكر الدّيني بأغلب أحكامه في النهج الإصلاحي للنّهوض به وللرفع من معنويات الشعب الذي تبرّم وسئم الحياة جراء ما يفعله المستعمر، فتبنّى الشعر والأدب الجزائري بدورهما هذه الرّؤية الإصلاحية وذادوا عن مساعيها وأهدافها في نصوصهم، وانبرى الاتجاه الإصلاحي في الشعر الجزائري بخاصة كما عبّرت الرّواية والقصة والمسرحية كفنون نثرية سردية أيضا عن هذه القيم بالإضافة إلى فنين نثريين غير سرديين وهما المقالة والخطابة اللّذان كان لهما الدّور الأكبر في توعية النّاس، ووعظهم وقد رائد هذين الجنسين الأدبيين الشيخ العلّامة محمد البشير الإبراهيمي .

ولم يقتصر الإصلاح الاجتماعي على الشّعراء الجزائريين فقط فحتى الروائيون والمسرحيون والقاصّون قدّموا رؤى إصلاحية عبر تحليلاتهم الثّاقبة لمختلف القضايا داخل المجتمع" **فالأديب والمثقّف والروائي غير بعيد عن الواقع بمختلف أشكاله ومستوياته؛ لأنه وببساطة يعيشها ولا يكتفي بذلك فقط بل ينظر إليها نظرة خاصة ومغايرة، لغيره من الأفراد العاديين**"[2] وقد استوعبت هذه النصوص السّردية الكثير من الحقائق وطرحت مشكلات عديدة سواء تعلّقت بالفرد أو بمنظومات

[1] عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق ، ص26.

[2] سماح بن خروف، تجليات الاغتراب في الرواية العربية، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2016، ص 97.

المجتمع، وسعت إلى إصلاحها ولم تكن إلا نظرة لوسيان غولدمان المنهجية الأنسب لتقويم هذا الفساد وتجاوزه عبر البطل الإشكالي، ورؤيا العالم والوعي الكائن والممكن حتى وإن تطلّب الأمر ثورة شريطة اعتبارها " **ممارسة من أجل تغيير أنظمة الجور والضعف والفساد تغييرا جذريا وشاملا، الأمر الذي يتيح للقوى الاجتماعية صاحبة المصلحة في هذا التغيير أن تأخذ بيدها مقاليد القيادة** "[1] وعلى الرّغم من هذه السّلطة فإنه ينبغي للكاتب الجزائري أن يتسلّح بالجرأة الكافية التي ستعينه في خوض غمار الحقيقة وتقديم معضلات الواقع، وإصلاحها عبر متخيله السّردي ويقدم بذلك جدلا جاهزا بين المرجع والمتخيل ليكمّل القارئ العملية الإصلاحية ولم لا؟.

ويمكن للكاتب أن يقدّم مجموعة تطلّعات توعوية إصلاحية قائمة على استشرافات مستقبلية للأنظمة السّائدة كالسّياسية مثلا؛ لأن استقرار الحكومة سيؤدّي إلى استقرار المجتمع وقد نجح الطّاهر وطار عبر رواياته الأخيرة في متابعة التّحولات الفكرية في الوطن العربي، واستشرفت مستقبلا أقرّه التاريخ فيما بعد فتجسّدت في رواية "**الولي الطّاهر يرفع يديه بالدّعاء**" "**فبعد متابعته للتّحولات المختلفة التي لحقت هذا الوطن – العربي– عبر شاشته الصّوفية العملاقة في موجة من السّواد تشبه إلى حدّ كبير القربة المخزّقة**"[2] ولعّل القارئ الجزائري/ العربي حين يتفطّن لمثل هذا النوع من الاستشراف الذي لا نجزم بصحته دائما ولكن، سيحتكم إليه هذا المتلقي وسيصلح الكثير من قناعاته الدّاخلية والخارجية.

ثانيا/ الإبراهيمي ورؤيته الإصلاحية :

يعدّ العلامة محمّد البشير الإبراهيمي من أبرز المصلحين الذين غيروا بالقول والقلم الأوضاع المزرية التي تخبّطت فيها الجزائر إبّان الاحتلال فآلت إلى الحضيض الذي استشرفه وأراده المستعمر الفرنسي حينئذ. وهو الذي تفانى في خدمة وطنه والنهوض بالتعليم والتربية بخاصة رغم العراقيل والصعوبات المادّية والمعرفية التي كان للمستعمر اليد الفاعلة فيها.

[1] عبد الله بن صفية، الاستشراف في الرّواية العربية، أنساق السّرد وآفاق المستقبل، دار نيبور للطباعة والنّشر والتوزيع، العراق، ط1 ، 2016، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص59.

وقد تعطّش الشعب الجزائري يومها إلى خطابات تحوي مواعظ وتوجيهات تهزّ كيانه المقزّم، وتدفعه دفعة تعود بالخير والحرية للبلاد، وقد تجاوز النبرة الخطابية المقنعة بضرورة الانتصار إلى سحر البيان وبلاغة اللّسان وقيمة البرهان، حيث إن رهان اللغة الأكبر هو تحقيق أعلى قدر من التواصل والإقناع الذي كان الشعب الجزائري في أمس الحاجة إليه كي يطمئنّ ولا يهتز جراء ما يفعله العدوّ.

وسعى إليه الإبراهيمي الذي كان يربي النشء، ويغرس في نفوسهم أنبل القيم والتّعاليم ويشحذ الهمم لرفض الاستعمار الغاشم ، فجاءت لغته مُشْبعة بآليات الإقناع وذلك بهدف تحقيق الإصلاح ومحاربة الفساد من خلال التأثير على المتلقي/الشعب من خلال خطاباته ومقالاته الإصلاحية الذي يريد بها استمالتهم ودفعهم إلى تغيير الوضع الراهن والسّلوك السلبي إلى سلوك إيجابي وموقف فاعل.

و لا شكّ أن للاستعمار الفرنسي يده الفاعلة في تخريب الأوضاع في الجزائر وتحطيم الأنساق السائدة آنذاك بخاصة النّسق الاجتماعي، ومارس سياسة التّجهيل التي طمست بدورها كل مقومات الحياة الجزائرية في أبسط معانيها، فتردّت الحالة السّيكولوجية والمادية للجزائريين بفعل التّقتير الممارس وضنك المعيشة، لذلك اقتضى التأزم الذي تخبّط فيه أن تتدخلّ قامات وشخصيات قوية الرؤية والتأمل في مفارقات الحياة هدفها الإصلاح وتقويم الاعوجاج الحاصل في الجزائر، وبث عزيمة التغيير وإرادة التقرير في نفوس الجزائريين المستضعفين، ولدى الإبراهيمي قدرة خارقة على الإصلاح عن طريق الإقناع والوعظ؛ لما يملكه من تأملات ثاقبة في الحياة، ومؤهلات علمية صرّحت عنها القدرة اللغوية وامتلاك ناصيتها استطاع بسحر بيانها استطلاع التأزم النّفسي الذي عاشه الجزائريون، واستجلاء الآفات التي اعترت الوطن فاستشرف من خلال كتاباته وبخاصة فنّ الخطابة الذي يعتمد الإقناع متكأً .

والشّيخ الإبراهيمي هو الذي " **أرّخ للحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي عموما، وفي الجزائر خصوصا فربط الأسباب بالمسببات، والعلل بالمعلولات**"[1] وكانت المسوغات حاضرة في حال الرّفض وقد اعتمد منطقا صارما يستشرف به الأفق المتجدّد للأمة الجزائرية، وذلك بالعلم والعمل وانتهاج الوطنية والإتقان مسلكا لنشر المعارف الواسعة المستمدة من القرآن، ومن غياهب الاحتلال،

[1] عبد الملك مرتاض، محمّد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 59.

ومن الرّحلات التي جعلت غيرته تزداد على وطنه والشعب الجزائري، بخاصة ما تعلق بالعلم فقد أسس له رفقة جماعة من المصلحين على رأسهم الشّيخ عبد الحميد بن باديس رؤية إصلاحية ترفض الذل والإذعان، والتخبط في سياسة التجهيل التي حرمت الجزائري وجوده وكينونته في أرضه.

ومن بين الخطب الإصلاحية التي أكّدت على الاستنكار **للآفات الاجتماعية والمشكلات الأخلاقية** كالجهل والأمية ورفع العلم والحرية وقع الاختيار على خطبة **الأمية** التي ألقاها الشيخ الإبراهيمي في مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي انعقد بنادي التّرقي سنة 1935م بالعاصمة، وقد أوجز في صفحات بنبرة خطابية نستشفها المقصود بهذه الآفة بعد وضع القارئ/الشعب الجزائري أمام ثنائية كان لا بد من التنقيب عن بواعثها وكشف مسبباتها، ألا وهي ثنائية الكمال والنقص وقد ركّز على الكمال باعتباره الوطر المنشود لرفع ستار التخلف والتقهقر عن الجزائر حينئذ، ليعتبر الأمية نقيصة تلحق الضرر ولمهانة بالدولة التي تفشت فيها وتمكنت من أنساقها، فهي جرثومة خبيثة على جسد الأمة أن يحترس من تغلغلها داخل خلاياه وأجهزته "**فإنهّا لا تفشو في أمة وتشيع بين أفرادها إلا فتكت بها وألحقتها بأبخس أنواع الحيوانات ومكنت فيها للجهل والسقوط والذلة والمهانة والاستعباد**"[1] وهو بهذا التدقيق في اختيار الألفاظ الموحية بخطورة الأمية يضع الشعب الجزائري أمام مسألة مشكلة تقتضي الوقوف عند مخاطرها وإيجاد حلول شبه جذرية نظرا لظروف القهر، وقمع الاستعمار الغاشم، وقد واصل خطبته باعتماد حجج وبراهين، ووسائل إقناعية تخلص الجزائر من الركود وتبعث فيه همّة التأسيس لنهضة فكرية شاملة.

وقد انطلق الإبراهيمي من ثنائية النقص والكمال ملحا على تقفّي آثار الثانية لما لها من فضائل تسمو بالنّفس الجزائرية، وأنها ما يرومه هو والشّعب الجزائري، وبأنّ الإنسان قد تهيّأ للكمال وتجنب مظاهر النقص، بل واختيار كل فرد على حده مسلك الكمال وحجّته في ذلك أنّ "**الكمال في المجموع متوقف على الكمال في الأفراد وأنّ النقص في المجموع مترتّب على النّقص في الأفراد فمتى أخذ الأفراد بأسباب الكمال وسلكوا له وسائله كمل المجموع**"[2] فجعلها أطروحة

[1] آثار محمّد البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزء الأول ، ط1، 1978، ص140.

[2] المرجع نفسه، ص139.

تستدعي حججا لمناقشتها والغور في ظلالها، وعلى منوال البحث الفلسفي ينتظر من المستمعين الوقوف مع موقفه، والاحتكام لما يقدّمه من آراء والوصول بهم ومعهم إلى نتيجة تعتمد الأقوال والحجج المستمدّة من الواقع أو التاريخ، أو مختلف المعارف.

ثم يؤكّد الإبراهيمي على سلبية الأمّية كنقيصة باعتماد التّعريف اللّغوي للمفردة وهو الجهل بالقراء والكتابة ولكنّه تجاوز هذا الحدّ إلى استخدام سحر البيان والشكل البلاغي الذي يعتبر برهانا كلّما استطاع أن يولّد تغييرا في المنظور مع اعتماد الاستشهاد من الواقع؛ ليوصّف الظاهرة في ذهن المتلقي، ويجسّم من الموقف فتستحيل الأمية إلى داء يجب وفي أسرع وقت تشخيص الدّواء له، وهذا ما يعتقده الكاتب إذْ يعتبرها مرضا فتّاكا، ويدعّم رأيه هذا بحجة تعدّ حقيقة بيولوجية لا تغيب عن الأفراد فمن **"يصاب منهم بشلل تتعطل منه وظيفة العضو المصاب كذلك يجب أن نعرف من شؤون الأمم هذه الآثار السيئة التي تنشأ عن الأمية...مع الفرق العظيم بين تعطيل وظائف أجزاء الجسم وبين تعطيل أجزاء الأمة"**[1] أما البيان هنا فيتمثّل في قوله مثلا الأمية مرض فتّاك، وشلل وزمانة.

وفي قوله "**وأكبر جناية تجنيها الأمية**" يجعلها كالمجرم الذي يرتكب إثمه وجريمته في الأمة ليدرك المتلقي/ الفرد الجزائري مدى سوداوية الموقف بل وضرورة تخطّي عواقبها-الأمية- الوخيمة، ثم يتوسّل التشبيه أيضا ليرسم لنا صورة سلبية بليدة عن الأميّ فهو "**كالطائر قصّ جناحاه فلا يغنيه مع ذلك أن يكون اسمه (طائر)** " لذلك فقد صار التفكير في الجزائر بسيطا مبتذلا فيستدل بحجة واقعية هنا " **وإنّ فيما نراه سائدا في أوساطنا الجزائرية من بساطة التفكير وتدلّيه خصوصا في الشؤون العامة...لدليلا على أنّ هذه الأمية هي أخت الوثنية في الفتك بالعقول وتعطيل مواهبها"**[2] ودعّم الحجة بتشبيهين ماثل فيهما الأميّة والوثنية بالرضيع والربيب، بحكم الأخوة التي وضع كلا منهما في إطارها حسرة وتأسّفا.

وقد تجاوز الإبراهيمي فكرة توجيه الخطاب إلى الفرد/ القارئ إلى ترسيخه في الذهن وبث مكامنه فيه، بالإضافة إلى توسيع الرؤية الإصلاحية التي نظرت بكل وعي إلى مآل المجتمع الجزائري في حاضره

[1] آثار محمّد البشير الإبراهيمي ، ج1، مرجع سابق، ص141.

[2] المرجع نفسه، ص141.

ومستقبله، إذ إن الاستعمار قد استوجب تسريع النظر في الواقع المتردّي وتقويمه بأنجع الطرق المادية والفكرية، ولم يقتصر الأمر على الوضع الاجتماعي فقط بل تجاوز إلى أوضاع أخرى، ولكن على اعتبار أن المجتمع ركيزة التطوّر والحضارة نهوضا بالفرد أوّلا ثم بباقي المؤسسات استطاع المصلحون الجزائريون والذي يعدون في الغالب أدباء أن يضطلعوا إلى الفرد الإنسان الخلوق والمتخلق بأحكام العقيدة السّديدة، فنمت عقولهم وتطوّرت حتى صارت باعثا لمحاربة الفساد بجلّ أنواعه.

كما يعود الفضل في نجاح المشروع الإصلاحي لدى الإبراهيمي إلى جودة انتقاء المواضيع التي كانت مصاقبة جدا لما يعيشه الفرد الجزائري، وكذلك العربي، مع توسّل اللغة الراقية والموحية في ثنايا الخطب حتى تخرج عن جفافية المعضلات التاريخية والسياسية والاجتماعية وتحيط بما يعيشه المجتمع دون اتكاء الإحصاء والتقريرية في المعالجة، واستطاع الإبراهيمي أن يشكّل رؤية إصلاحية استشرافية صالحة لكل زمان ومكان بناء على خبرته في الحياة وشغفه بمختلف المجالات التي جعلت من كتاباته سندا لمفارقات الحياة التي تقتضي حكمة حكيم، ونظرة نبيه، وعلم علامة مثل الإبراهيمي.

- **الدّرس السّادس: قضية الالتزام في الأدب الجزائري**

تبيّن من الدّروس السّابقة للقارئ بأنّ الأديب الجزائري إنسان يتفاعل مع ما يجري من وقائع متباينة داخل مجتمعه، وبخاصة في فترة الاحتلال الفرنسي التي لازمت الكتّاب الجزائريين، وكانت مادّتهم وموضوعهم، ولكن الحديث عنها لا يكون كافيا إذا لم يصاحبه صدق وإخلاص للوطن، فيلتزم – الأديب– بواجباته تجاهه، ويسعى جاهدا لأن ينقل هموم الأفراد والجماعات، وهذا ما يعرف بالالتزام حيث يتوسّل الأدباء نصوصهم لعلاج المشكلات السّياسية والاجتماعية وطنية كانت أو قومية، فيوجبونها على أنفسهم بكل وعي ووفاء، مع الاستمرار في إثارة هذه القضايا في خطاباتهم حتى يرافقهم في أغلب مسيرتهم الإبداعية، وهذا ما يؤكّد فكرة الالتزام فليس كلّ من تطرّق إلى قضية وطنية أو قومية في شعره أو نتاجه ملتزم بالضّرورة، بل عليه أن يكون مؤمنا إلى حدّ كبير بها، ويتّخذ موقفا صريحا منها لا يتغيّر مع تغيّر الأيديولوجيات، ولا الأفكار التي لا تبقى ثابتة على مرّ الأزمنة

والعصور و"**مفهوم سارتر للمثقف الملتزم يفترض إيمانه بقضية ما مؤسّسة على مجموعة من القيم والمبادئ التي تعكس مفهوم الحقيقة لديه حتى، وإن كانت هذه القيمة هي الحرّية ذاتها**"[1] فالعامل الخلقي مشروط لدى الأديب الملتزم فهو سلوك أوّلا وقبل كلّ شيء، يقتضي قناعات داخلية قبل تقرير المواقف، وينطلق من القيم التي قد لا ترى في الغالب بقدر ما تؤثّر على المشاعر والأحاسيس، فالالتزام نابع من القلب ومن الدّاخل قبل أن يتجسّد في أشكال كتابية بلا روح ولا عقيدة ولعلّ اتّباع الأعراف السّائدة والتقيّد بالنواميس المؤسساتية ملمح من ملامحه "**فعلى سبيل الالتزام كان على المثقف أن ينقاد إلى العادات والتقاليد الرائجة من باب التعايش والحفاظ على الذّاكرة الثقافية العامة وعدم تكدير صفو سيرورتها**"[2] فيؤول الأديب الملتزم إلى إنسان واعٍ متآزر مع مجتمعه ومع المحيطين به، يقول الحقيقة في ما يبدعه ولا يخاف لومة لائم في ذلك، يكشف الستار عن المعضلات ويعرّيها للأفراد الذين سيشاركونه هذه المهام لكونهم جزءا من هذا الكلّ الذي إذا صلح واستقر وضعه فهذا يعني صلاحهم واستقرارهم أيضا، ولكن يجب أن تكون الغاية من هذا الكشف إيجابية تقف أمام المقهورين والمضطهدين، وتقدّم أغلب المقوّمات التي ستسمو بالكينونة البشرية وتجسّد المثالية التي تحارب كلّ أنواع الفساد وفي مختلف الأصعدة الأديب الجزائري الملتزم يغدو مثل "**المثقف الأيديولوجي الذي لا يتسنّى له كشف العالم إلا من خلال الحلم بعالم أفضل منه، يبنى على مبادئ وقيم مخالفة لمبادئ العصر**"[3] من ظلم وزيف وانحراف، وتغيير العالم نحو الأفضل وفق ما يتماشى وتطلّعات الفرد العربي بخاصّة.

و لا يفرض الالتزام على الأديب بقدر ما يكون عن طواعية واختيار وحب ووفاء ، أما الإلزام فنجد الكاتب الجزائري مجبرا ومكرها على إثارة قضية ما في أدبه يقدّمها بكل جفاف وزيف نجده مكبّلا لا يقول ما يشاء ولا يتفاعل مثلما يشاء الموقف المعالج بمختلف حيثياته.

---

[1] نصر الدّين بن غنيسة، في بعض قضايا الفكر والأدب، جولات في العقلين العربي والغربي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002، ص23.

[2] سماح بن خروف، تجليات الاغتراب في الرواية العربية، مرجع سابق، ص232.

[3] نصر الدين بن غنيسة، في بعض قضايا الفكر والأدب، مرجع سابق، ص24.

- **أهداف الالتزام:**

للالتزام أهداف عديدة نذكر أهمّها:

- إيصال ما لا يمكن إيصاله، بخاصة إذا تعلّق الأمر بالمكامن الدّفينة التي تحيّر الفرد المقهور والمظلوم، أو بعض المشكلات التي تمّ تعميتها أو غمرها من قبل أطراف معينة.
- القضاء على التّوتر بين الكلّ والجزء، بين الكلّية والتكليل، بين العالم والكينونة.
- مصارعة التّناقض بين الخصوصية والعالم.
- تغيير العالم والغور فيه واستكشاف القيم المثلى التي ستسمو بالإنسانية فيه.
- التّقريب بين البشر والوقوف بجانب المضطهدين.
- إيقاظ الشّعور السّياسي، وإعادة الحرية إلى القارئ.
- الإصلاح والنّهوض بالأخلاق.
- من خلال الالتزام يصبح الأدب مسايرا للحياة اليومية بمختلف مقتضياتها.

كما أنه على الأديب الملتزم ألا يكون متطرّفا ولا أنانيا بحيث يسعى إلى تحقيق منافع مادية من خلال معالجته للمطالب التي تخدمه كفرد ولا تخدم مجتمعه المتضرّر، وبقدر ما نلفيه منفعلا ومتوترا نجده صارما في مواقفه، وجريئا في تحديدها، ولكنّ الأديب الجزائري في بدايات التزامه لم يكن واعيا بحقيقة الالتزام ومدى عمقه، فكان يعرض الوقائع والقضايا التي تعكس تطلّعات الشعب المقهور والمضطهد إبان الاحتلال والثورة بخاصّة "**فرسالة الأديب الجزائري في السّاعة الحاضرة رسالة مزدوجة، ، فمن جهة أولى ننتظر منه أن يكون لسان الطّبقة الكادحة، ومن جهة ثانية ينبغي عليه أن يعمّق الاتجاه العقائدي الذي تعتنقه وتسير عليه هذه الطّبقة**"[1] وعليه أن يحس بما تمرّ به هذه الفئة البشرية التي سحق المستعمر هويتها، وثقافتها، وجعل منها ثلة كبرى من الناس المغمورين والمستضعفين، لذا يقتضي الالتزام أن يستوعب الكاتب الجزائري مختلف قضايا الشعوب المصيرية والشائكة، وذلك من خلال " **وعيه للمرحلة الحضارية التي تجتازها أمتنا وجماهيرنا الكادحة، وفي ضرورة البحث المباشر عن**

[1] محمّد مصايف، دراسات في النّقد والأدب، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص64.

طبيعة مطامح هذه الجماهير ثمّ في التعبير عنها، وعن حياة عمّالنا تعبيرا فنّيا يبتعد عن التقريرية والخطابة في الأسلوب ويتحاشى اللّغة الحوشية، والغموض في المواقف والأفكار"[1] فمعالجة الواقع لا تعني التّخلي عن الشقّ الجمالي في الإبداع الأدبي، وبخاصة الجزائري الذي لم يصل إلى أوْجه على الصّعيد الفنّي، فمجرّد التخلي عنه أو التقليل منه معناه النّزول إلى الحضيض بالأدب الجزائري وبلا رجعة، ويرى حفني داوود بأنّ " **الشّعر قديمه وحديثه في نظرنا لا يستقيم عوده إلا إذا جمع بين هذين المتنافرين في الفنّ:**

- **الذّاتية في غير تطرّف يصل بها إلى مذهب الفنّ للفنّ.**
- **الالتزام في غير تطرّف يذهب بعيدا إلى أعماق الإطارات الاجتماعية الجامدة والأهداف المادّية الزّائلة."**[2]

ولم يقتصر الالتزام على الشّعر فقط بل تجاوزه إلى النّثر الذي كان أيضا الوعاء الأكبر أيضا في احتوائه للأفكار والحقائق السّائدة في الجزائر والوطن العربي، وقد دعت الواقعية الاشتراكية إلى ضرورة التزام كل من الشعراء والناثرين بقضايا الوطن " **فالشّعر في الحقيقة صورة من صور التأمل، والشّاعر يفكّر وإن يكن تفكيره في شكل صور، وهو يبرهن على الحقيقة ولكن يجلوها، وبهذا يظهر للعيان ما لا يراه سواه"**[3] فيغدو نصّا توعويا ثاقبا مفعما بالمكامن التي على القارئ استكشافها ومعرفة كنهها بخاصة وأنها تتعلّق بمصيره وحياته.

وبعيدا عن أساليب الأمر والنّهي فعلى الأديب الجزائري أن يقنع المتلقّي بكل موضوعية وعقلانية وألا يتعصّب لأيديولوجيته الخاصة أو يدّعي عالمه المثالي، فيعلّم الفرد الفضائل والمكارم، ومن الخطأ الفنّي أن يوطّن هذا النّوع من الأساليب داخل نصوصه الملتزمة " **فالأديب ملتزم بطبعه، ولكن أن**

---

[1] محمّد مصايف، دراسات في النّقد والأدب، مرجع سابق، ص67.

[2] شلتاغ عبّود شرّاد، الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، دار مدني، الجزائر، ط1، 2003، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص18.

يلتزم ويلزم غيره هنا يكمن الخطر"[1] وهذا رأي لابن عجال الذي يرى بأن على الأدباء الجزائريين الملتزمين أن يعرضوا على النّاس ما التزموا به ليحكموا عليهم أو لهم.

ومن أبرز الأدباء الجزائريين الذين التزموا في نصوصهم بالقضايا التي أرهقت عقول الشعب، وكانت همّهم إبان الاحتلال الفرنسي بخاصّة، كما تأثروا بالأوضاع السياسية والاجتماعية السّائدة، بالإضافة إلى التأثر بالشعراء المشارقة الملتزمين أمثال محمود درويش، ونزار قباني وغيرهما من الشّعراء الذين قدّموا رسائل إنسانية هادفة بخاصة وأن العالم العربي يعاني غزوا متعدّد الأوجه ماديّ حربي من جهة وثقافي فكري من جهة أخرى.

لذا كان على المثقفين العرب مجابهة هذا الغزو بسلاحهم الفكري والتزامهم كشاعر الثورة مفدي زكرياء الذي سار على المنوال وناضل بقلمه عندما واتته الفرصة ووضع يده على الجرح العميق، بالتزامه وإشادته بالثورة والثوار وتغنيه بالجزائر الجميلة في تضاريسها وأعرافها، وقد كانت الحرب العالمية الأولى بمثابة الصفعة للشعب وللمثقّفين، فقد فتّحت عيونهم على الحقيقة المرة وجعلتهم يؤمنون بقوة بضرورة انتصار الحق على الباطل، والخير على الشّر فعرفوا على غرار المشارقة حقيقة الغرب والغزو الثّقافي فتحدّوهم ثقافيا في كتاباتهم المتمرّدة على الواقع المفروض والمزري حين "**انطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدّين المغلوب على أمره في ميادين التّربية والتّعليم والتّشريع، وتطوي تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسّياسية، وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كلّه على أنه أنقاض أو مخلّفات ينبغي أن تستخفي**"[2] وما يهمّنا هو إبراز دور الالتزام في توعية الشعوب بهذه الطّلائع والنوايا غير البريئة من المستعمر، وقد أثار مفدي زكرياء قضية التحدّي الثقافي في شعره وبخاصة تحدّي الإسلام الذي أبى هو وباقي المقومات التي توطّن هوية الجزائري/ العربي، يطمس أو يقهر أو يغلب فيقول في قصيدته "**الإسلام يتكلّم**" وقد اتخذ من عزة هذا الدّين الحنيف حافزا للكفاح والنّضال واستنهاض الهمم فيقول على لسان الإسلام:

---

[1] محمّد الطّاهر يحياوي، أحاديث في الأدب والنّقد، شركة الشّهاب الجزائر، الجزائر، 1990، ص165.

[2] محمّد الغزالي، الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا، الزيتونة، للإعلام والنّشر، الجزائر،1989، ص45.

ألست أنا من جئت للنّاس رحمة وكم عبرة فيمن تقدّم للتّالي

نزلت وكان النّاس فوضى وما لهم سوى غدر أفاك وخدعة دجّال

نزلت كان النّاس أعداء شيـــعا وهم بين دهري وعابد تمثال

فأطلعت فيهم الكوكـــب الذي سما ساطعا فيهم بأنوار وأفضال

هو الآية الكبرى هو العلم الذي أتى لبني الإنسان بالمثل العالي

ترعرعت في بطن الجزيرة يافعا فزلزلت أركان العدا أي زلزال [1]

ويواصل الشّاعر في تشخيصه للإسلام الذي جعل منه خطيبا فصيحا مستنهضا همم الجزائريين يحثّهم بأن حلّ الحرية والانتصار سيكون باتباعه والاستناد لأحكامه في الجهاد والكفاح ضدّ المستعمر:

بَنيّ لقد آن الكفاح فجّددوا عزائم أحرار وأنفـــــاس أقيـــــال

وحلوا رحاب العلم دوما فهذه مدارس عصر فاض فيكم بسلسال

وكونوا رجالا لا يبالون أن يروا صروف الرّزايا دون تحقيــق آمــال

ودونكم جوّ العـــادة إنمـــــا بلوغ أمانيكم بتحطيـــــــم أغلال[2]

ويبدو الالتزام جليّا في هذه الأبيات من خلال بعث الأمل في نفوس الجزائريين المضطهدين وزرع حب الجهاد وعدم اليأس من الواقع المزري (حلوا، أحرار، تحقيق آمال، أمانيكم، جدّدوا) فالشّاعر يحسّ بما يعانيه الشّعب وينفعل ليبرز السّبل التي ستحقّق الحرية والتّحرر وهذه مشاركة بالشّعور من طرف الشّاعر، وهذا ما يؤكّد مفهوم سارتر للالتزام حين ربطه بالحرية والوجود الفاعل.

[1] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص177.

[2] المرجع نفسه، ص ص (177-178).

كما أنّ التطرّق إلى مسألة الثورة لهو ولوج مباشر إلى عمق المجتمع الجزائري، والنّص يبرز مدى وعي الشاعر للوضع السّائد، وسعيه إلى تمرير هذا الوعي عبر التزامه إلى المتلقّي الجزائري المقهور، وهو لا يخنق حريته أو يقيّد مذهبه أو نظرته في الحياة بقدر ما يحسّ بالواجب الوطني، ويقدّمه إلى الغيرية بكل صدق وإيثار، وذاك لأغراض إصلاحية وتقويمية.

ونجد ثلّة من الشّعراء الجزائيين الملتزمين الذين كرّسوا أشعارهم لقضايا الوطن وبخاصة قضية الثورة والاحتلال ولكلّ منهم موقفه ونظرته، كما أنّ كلّ خطاب يختلف باختلاف أسلوب الأديب الملتزم الذي له طريقته في الرفض والتغيير، فيرفض الثورة كفعل سلبي غير إنسانيّ " **فيندّد به، ويعمل على تحطيمه، أمّا وسيلته إلى ذلك فالكلمة التي يطلقها بين النّاس فتفعل فعلها فيهم على نحو ما تفعل الخميرة في العجين، وتوحّده إلى السّلوك الكفيل لإحداث ذلك التغيير المطلوب**"[1] ولعلّ الإقناع الفكري من أصعب المهام على الأديب الجزائريّ، لأنّ الشعب لم يعد يطيق ما يجري في البلاد فيجد ضالته فيم يكتبه هؤلاء الشّعراء الملتزمون، وفي صدق مشاعرهم حين تتماثل أقوالهم مع ما يجري في البلاد من فساد وتخلّف وجهل، وعلى الكاتب الملتزم – إبّان الاحتلال بخاصة- أن يحارب مثل هذه المظاهر الفتّاكة بالمجتمع ويسعى من خلال نصّه إلى " **توجيه الجماهير إلى واقع اجتماعي وأدبي أفضل لمسايرة الثورة الاشتراكية، والخلاص الوحيد للأمة من الجهل والمرض، والتخلّف**"[2] فهذا ما يراه محمد مصايف وما نوافقه عليه أيضا، لأن الجزائر كتلة من المنظومات والأوضاع التي كان للمستعمر يده الفاعلة في تخريبها وتحطيمها.

كما التزم الشّعراء بالحديث عن الحرّية التي كانت هاجس كل فرد مأزوم في وجوده ونفسه، وهذا تأييد لمفهوم الوجودي سارتر للالتزام والحرية " **هي أن يعانق الإنسان أمه حين يريد، وأن يصنع المهد لأولاده حين يشاء، وأن يتجوّل في مدينته حين يحلو له ذلك، وأن يهتزّ نشوة أمام**

[1] أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشّعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ص42.

[2] أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، في الفترة ما بين 1931- 1976، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص21.

المحراث وأن يقول للآخر: إنني لا أشاركك الرأي في هذا الأمر"[1] هي دقائق وتفاصيل حياتية صغيرة ولكنها تعني الكثير للجزائري المقهور، الذي يحتاج إلى طاقة معنوية كفيلة بأن تضمّد جراحه العميقة، فيتحدّث صالح خباشة عن التحرّر وعن عزم الجزائريين على استرداد الحرية:

سأفتك التحرر باكتمـــــال فلا أرضى بربع أو بنصـــــف

فكم راض من التحرير نصفا يعود به العدو لشرّ خســـف

يود المعتدي إخفاء شمسي وهل للشّمس بعد الفجر مخف[2]

وزادت سين التّسويف بنَفَس التزامي من إصرار الشّعب على افتكاك الحرّية وهو ما تجسّد لد الكثير من الشّعراء الذين تدارسناهم في درس الثورة في الشعر الجزائري بخاصة، أغلبهم ملتزمون بقضايا الوطن، يرفضون الرضوخ، والاستسلام للذين استبعدوا الجزائر، واستعبدوا الجزائريين وحاولوا فرنسة بلدهم يقول مفدي في هذا الصّدد:

وإذا الجزائر بالسّلام استبعدت فمصيرها بسلاحها يتقرّر[3]

وقد عاش الشعراء التزامهم بالتزامهم الصادق قلبيا وفنيا حيث انتقوا أجود الكلمات في دلالاتها وحروفها وإيقاعاتها المؤثرة في نفوس المتلقين، الذين سئموا وضعهم المتردّي، وسعوا إلى جعل الالتزام وسيلة لتصوير القضايا تصويرا دقيقا، ومعالجة مشكلاتها بكل حنكة ونزاهة، ومن ثمة تحقيق الوجود الإنساني بكل فاعلية أمثال آل خليفة، والصالح باوية، والسّائحي والعمودي وبوشوشة وغيرهم، وقد استطاعت إيجابية هذا النوع من الخطابات منح الفرد قيمته الحقيقية وكنهه المغمور، وحتى الفنون النثرية جسّدت هذا الوطر من الالتزام، فنجدي محمد ديب ومالك حداد وكاتب ياسين في رواية "نجمة" يتقن الشّروط ويكرّس مبادئ الملتزم الثّابت على مواقفه، وأثبت أيضا بأن الالتزام لم يكن حكرا على الشّعر

[1] عبد الله ركيبي، الشّعر في زمن الحرّية، مرجع سابق، ص74.

[2] المرجع نفسه، ص 78.

[3] المرجع نفسه، ص79.

الجزائري فقط، فاستطاع المتخيل السّردي أيضا أن يعترف بالكثير من الحقائق التي تخصّ الفرد والمجتمع.

كما تجلّى الالتزام في القصة القصيرة وقد سبقت الإشارة إلى أبرز القصص القصيرة التي تحدّثت عن القضايا التاريخية – الثورة- والاجتماعية كالفقر والمرأة وغيرهما وسنتحدث عنها في درس الأبعاد (التاريخية الاجتماعية)، فاستطاعت رغم كثافة لغتها ووحدة الحدث فيها أن تقول الإنسان وآلامه وتعكس آماله بكل أريحية، وتغدو مرآة للوجع الأكبر والأوجاع المخفية بين براثن الطمس والتعتيم ومن أشهر كتباها وطار وأبو العيد دودو وابن هدوقة ومعاش وعاشور وونيسي وداسة وغيرهم من الأدباء.

وكان للفنون النّثرية غير السّردية خصوصية في التزامها كالخطابة والمقالة ولعلّ روادها هم مؤسسو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي تطرقنا إليهم، آنفا حين استنكروا لما يجري في الجزائر وفي الأمة العربية بعامة، فأدّوا دورا توجيهيا إصلاحيا أنقذ الأمة من غفلتها فنهضوا بالتعليم، واهتموا بالمرأة والتثاقف وحاربوا الجهل والأمية في سياستهم الإصلاحية، ولعلّ هذه هي الأهداف السامية التي يرمي إليها الالتزام مع كثير من الحرص والإخلاص، وعدم الإكراه لأنه شعور نابع من أعماق القلب وليس شعارا يحيا يوما ويموت سنوات.

- **الدّرس السّابع: الأبعاد الثّقافية وقضية الانتماء:**

يكتب النّص ليُقرأ وليتم تأويله وتحديد مراميه، ولا يوجد نصّ أدبي إلا وحمل في طيّاته العديد من القيم والأبعاد التي ستؤكّد على منطلق إبداعه، والغاية منه، وحين يتماشى مع الواقع –الجزائري- بمختلف مجالاته الاجتماعية والسّياسية والدّينية والثقافية والفكرية وغيرها، وقد سبق وأن عرّجنا على دور الأدب الجزائري، وبخاصة في التعريف بقضايا المجتمع، والكشف عن صروفه وتحليل الأفكار السّائدة، وتضمينها داخل النّصوص الإبداعية إيمانا بها تارة أو دحضا لها ورفضا لخلفياتها الهدّامة بخاصة وأنّ الجزائر قد عانت ظرفا تاريخيا جسّده البعد التاريخي بدوره حين وطّن المفهوم الأكبر للآخر المستعبِد فأثار تيمة الثّورة التحريرية وحتى المقاومة من خلال أشعار الأمير عبد القادر و المولود بن الموهوب ومفدي وآل خليفة ورمضان حمود وخمار وبوشامة وغيرهم.

أما البعد الاجتماعي فتجسّد في غالب الأشعار والقصص والروايات وحتى المسرحيات التي تطرّقت إلى المضامين الاجتماعية المتعلقة بالفرد والمجتمع ومحاولة الحدّ من الأوبئة الفكرية والجهل والفقر وغيرهما من الصّراعات الدّاخلية والخارجية بفضل جهود الحركة الإصلاحية السّياسية والأدبية في الجرائد والنّتاجات الفنّية عبر مقالات صحفية وأشعار أو خطب تشفي غليل الجزائريين المضطهدين .

وكان للبعد الدّيني حضوره البارز أيضا في النصوص الجزائرية فلما ضعف وازعه كان على الأديب أن يستعين به في خطاباته التوعوية ويدعو إلى العمل بتعاليمه وأحكامه لا ليقوم مقام الداعي أو الفقيه وإنما لدبّجه ويجعله دين جهاد وانتصار على عكس ما سعى الاحتلال إلى الوصول إليه وهو تشويه الإسلام بل ونشر الطّرقية والتيارات المظلمة حتى تزعزع الجزائري، وتجوعه روحيا فيخنع لسياسة التنصير وينصهر في الآخر وتستلب هويته، وتُحقق الفرنسة التي ترومها فرنسا المستعمِرة وقد عرضنا سابقا قصيدة جدّ موحية بالتعلق بالإسلام والهوية والوطن لمفدي زكرياء بعنوان "الإسلام يتكلم".

أما البعدان الثقافي والفكري فقد كانا المادة والموضوع للنصوص الإبداعية الجزائرية، ولم يستقر المستوى الثقافي في الجزائر فقد عرف منذ القدم "**التّحولات العقائدية التي وقعت منذ عهد الموحّدين والاتجاه نحو القناعة العلميّة والرّضى بالقليل من الفقه والمعرفة، والتغاضي عن العلوم العقلية والعملية وتفضيل علوم الدّبن والتّصوف الفروع الفقهية على علوم الطّب والجبر والهندسة والملاحة والقوانين التّجارية**"[1] وهذا ما يفسّر طغيان الثّقافة الإسلامية على معظم النتاجات الأدبية قديمها وحديثها وتناصّها مع القرآن والحديث، والنّص الصّوفي كذلك فأضحت متأثرة بشكل واضح بأسلوب القرآن الكريم وسحر بيانيه وبمعانيه أيضا.

وقد تمت الإشارة إلى الأيديولوجيات والأفكار السّائدة في الأدب الجزائري من خلال أبرز القضايا التي عولجت وقد فُرضت الوطنية والقومية والانتماء، والاشتراكية والواقعية بأنواعها، والوحدة المغاربية، وبعدها الأزمة في التّسعينيات وقد ذكرنا بعض النماذج التي تعرّضت لهذه المسائل الفكرية والأيديولوجية، وأثارتها في نصوصها فأضافت إلى القارئ الجزائري والعربي مضامين ثقافية وقيم متنوعة زيادة عما تكتنزه ذاكرته عن أعراف المجتمع الجزائري وتقاليده ومقوّماته كذلك.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص129 .

- **البعد التّاريخي (الثّوري):**

لقد توقفنا كثيرا عند مسألة الثورة وقدمنا نماذج شعرية عديدة وأخرى نثرية أطالت الحديث عن الثورة الكبرى وعن نوفمبر ولكن هذا لا يعني أنها استحوذت على كلّ مضامين النصوص الجزائرية، فقد أثيرت قضايا تاريخية أخرى قديمة وحديثة مثل تاريخ الإسلام والإسبان والقضية الفلسطينية وتاريخ الأندلس في البيت الأندلسي للأعرج، والأزمة مع الثورة في "كولونيل الزبربر" للحبيب السّائح مثلما أشرنا سابقا، مع الحديث عن قضايا عربية ومناسبات أخرى كتفجّع الشاعر أبي اليقظان عما حدث في دمشق سنة 1925 حين ثار السّوريون ضدّ الاستعمار الفرنسي الذي سجن وقتل المواطنين والشعراء، وعلى غرار أحمد شوقي السّاخط في أشعاره نظم أبو اليقظان للتاريخ كلماته الثائرة والرافضة والمتفائلة في الآن نفسه بانتصار العرب رغم قهرهم:

فلكم شعب ضعيف هب من ... نومه وافته أصناف التّحايا

فإذا جاهد في استقـــــــلاله ... مستميتا نال أنواع العطـايا

وإذا قدم مهـــــــرا غالـــيا ... قدّموا له حينا تلك الحظايا

وإذا ما نصبوا حكم القضـــا ... فنّدت حجته كل القضــايا[1]

بالإضافة إلى الثورة المصرية، والعُمانية وجرائم الانجليز في مصر وليبيا والسّودان وفلسطين فقد واكب الشعر الجزائري كل التطوّرات التاريخية وتفاعل معها قلبا وكتابة وعالج بكلّ واقعية وفنّية فيقول مفدي في الثورة العُمانية ضد الاستعمار البريطاني:

بني عُمان ألا لله روحـــكم ... قد حزتم الأكرمين: السّيف الكتبا

لو المكارم في الدّنيا بأجمعها ... كانت كتـــابا لكنتــم فوقه لقبــا

قد عزّز الله دين المصطفى بكم ... إذ خصّكم عن جميع الخلق وانتخبا

فما ارتضيتم سوى إعلاء ملّته ... ولا رأيتم سوى نيل العلا أربـــــــا

فرفرفت فوقكم راياتـــــه ولقد ... أرضيتموه فأرضاكم، ولا عجـــــبا[1]

[1] عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص116.

ويقول أيضا:

تبّت يدا قوم (لندن) أبـــــالسة تسعى لجعل بني القرآن أيـــــد سبا

عفوا أيا دولة اللّوردات وا أسفي ما كلّ يوم ينال المـــــرء ما طلبـــا

شلّت يمينـــــك إنّ الله منتبـــه يا شرّ من دبّ فوق الأرض واكتسبا[2]

وقضايا تاريخية عديدة تأثر بها الأدباء الجزائريون وعبّروا عنها في كتاباتهم، وعن انتمائهم الوطني والقومي، فكانت تلك الوقائع والأحداث فرصة للتّغالب بين المبدعين للتفاعل والتّشارك في المآسي والشّدائد دون أدنى حاجة للولوج إلى السّاحة الأدبية، أو للوصول إلى العالمية فكثيرون منهم مشهورون ولا يحتاجون إلى يعرّف التاريخ المعلوم بهم.

كما عايش النصّ المسرحي الجزائري التاريخ والثورة التحريرية " **ففي سنة 1925 تكوّنت فرقة جيش التّحرير المسرحية بإدارة الأستاذ مصطفى كاتب مع نخبة من الفنانين الذين أعلنوا الثورة بطريقتهم الخاصة والكاتب عبد الحليم رايس أحد هؤلاء الفنانين الذين كتبوا للمسرح وجاهدوا بالقلم**"[3] ورايس من الكتاب الذين لم يحالفهم الحظّ في حمل السّلاح ضدّ العدو لظروف عائلية وتقاليد حالت دون ذلك، ولم يجد أمامه سوى الكتابة المسرحية كحلّ رادع يقول "**حتى لا أكون رجلا عسكريا اخترت المجيء إلى المسرح، فقد كانت عادات وتقاليد عائلتي تمنع على أي فرد منها الالتحاق بالخدمة العسكرية**"[4] فقد يكون المبرّر قليل الإقناع ولكن ما يشفع لهذا الفنان هو نضاله الفكري والسّنيمائي من خلال أدوار عديدة في أفلام جزائرية أهمها "**العفيون والعصا، سنوات الجمر** و**القاتل**".

يمكن القول بأنّ النتاج الأدبي الجزائري عايش التاريخ العربي بعامة والجزائري بخاصّة مع أدباء جيل الثّورة وأدباء جيل ما بعد الثورة ولكن التصوير والانفعال بقي في تصاعد ولم يضمر، بل استزاد واقعيته

---

[1] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص181.

[2] المرجع نفسه، ص182.

[3] عبد الحليم رايس، دراسات ونصوص من المسرح الجزائري، مسرحيتان، أبناء القصبة ودم الأحرار، منشورات المعهد الوطني العالي للفنون المسرحية، ع2، برج الكيفان، الجزائر، نوفمبر 2000، ص9.

[4] المرجع نفسه، ص1.

وفنّيته مع تقادم الزمان حيث آمن الكتاب الجزائريون بأن العودة إلى التاريخ لا تعني اجتراره بقدر ما تقصده قراءة وإعادة وإنتاجا لتقرأ حاضرها بخزينها الماضوي وتستشرف مستقبلها بتراثها الذي يعجّ بالأهداف السّامية والقيم النبيلة التي ستسمو بالفرد الجزائري والعربي على حدّ سواء رغم مختلف العراقيل.

- **البعد السّياسي:**

إذا سلّمنا بمقولة أرسطو المبررة للنزوع السلطوي المبطن لدى كل إنسان يقول"**إن الإنسان حيوان سياسي وكل الناس منذ الأزل لم ينفكوا عن الكشف بأن الإنسان سياسي بطبعه**"[1] وهو يسعى دوما لإيجاد الوسائل والإجراءات المساعدة على تفعيل اتخاذ القرار، ثمّ يصبح صانعا له.

لكن هذا الأمر لا يتحقق إلا في دولة مستقرة اجتماعيا بالدرجة الأولى،فلا وجود للديمقراطية السّياسية بدون ديمقراطية اجتماعية؛ ومن ثم إتاحة إمكانية المشاركة السّياسية الفعالة وإن حدث العكس؛ أي إذا غيّب الأمن بنوعيه المادّي والمعنوي تعمّق بذلك الإحساس بالعجز في الحياة الاجتماعية والسياسية وقد يكون راجعا إلى استبداد السلطة-السياسية-القائمة بسبب "**شدة العصبيات واختلاف الآراء والأهواء، وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها، فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت**"[2] وهذا من أخطر أنواع الصراعات والصّدامات التي يمكن أن تحدث.

وقد طغى الاغتراب السياسي في فترة التسعينيات بسبب الاضطهاد الذي عاشه المجتمع والعنف الذي انسحب عليه هو الآخر كبنية كبرى" **لاستخدام القوة المادية أو التهديد لتحقيق أهداف سياسية قد يكون موجها من النظام إلى المواطنين، أو بعض أجنحة النّخبة الحاكمة بغية ضمان الاستمرار وتقلي دور القوى المعارضة**"[3] وهذه الأخيرة لطالما خيّرت بين نمطين من المعارضة كذات ضديدة للنظام القائم إما بتبني الحوار والسّلم شعارا للتعبير عن القمع وإلا بحمل السلاح واعتماد

[1] أحمد بن الداية، الفلسفة السياسية عند العرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص19.

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية،متاهات الإنسان بين الحلم والواقع،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،لبنان،2006م ،ص98.

[3] حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،لبنان، ط2،1999م،ص49.

الترهيب والشغب لإسماع الصوت تحت غطاء الإرهاب"**كعمل رمزي موجّه للآخرين لإحداث أثر نفسي سلبي،يتمثل في حالة من الخوف والقلق والرعب والتوتر لدى المستهدفين**"[1] مما أدّى إلى خلخلة الاستقرار بشتى أشكاله، وتحجيم الحريات وفق قالب الرغبات الفردية وتغليب المصلحة الذاتية، وفقدان الأمن والأمان اللاّزمين.

وقد صبغت رواية التسعينيات بصبغة سياسية لأنها كشفت عن الوعي بالوضع الحكومي وخاضت في حيثياته وتطرّقت إلى تيمة الإرهاب على غرار الكتابات السّابقة التي استندت الاستعمار لتبرز التاريخ السّياسي للجزائر مع عدم الاكتفاء بسرد الوقائع عبر متخيّل سياسي مباشر، بل رسم السّواد والعنف في لوحة فنّية جميلة من شأنها أن تغادر الواقع عبر اللّاواقع فتعالجه بالغيبيّ وبالموت والمتاهة مثلما فعل أدباء جزائريون معاصرون أمثال محمّد مفلاح في رواية "**شبح الكليدوني**" ورواية "**عائد إلى قبري**" لزكية علاّل، ورواية "**اختلاس رواتب الموتى**" لعبد العزيز غرمول، والمجموعة القصصيّة "كفنٌ للموت" لعبد الرّزاق بوكبّة وكلّ هذه المؤلّفات انبرت في ظلّ تعدّدية الأفكار والسياسات والأحزاب، والانقلاب فكشف خصوصية السّلطة الحكومية لم يكن هيّنا على الكاتب الجزائري لا على الصّعيد النفسي ولا الفكري ولكنّه حاول أن يستفهم ويجيب عن تساؤلاته وتساؤلات المتلقي الذي يتخبّط هو الآخر، في هذا التاريخ الذي يعجّ بالأحداث السياسية المريبة في حاضرها ومستقبلها.

- **البعد الاجتماعـــي:**

لا يغيب عنّا بأن المجتمع عبارة عن نسق، وهو قائم على مبادئ وأسس تسعى إلى توفير الأمن والاستقرار والتّفاعل المتبادل بينه كمؤسسة كبرى وبين الفرد كعنصر يتشارك مع غيره من الأفراد لتكوين بنية اجتماعية قائمة بذاتها ، فإن كان هذا الاشتراك كاملا وإيجابيا عرف هذا النّسق التطور والرّقي، أما إذا حدث العكس فسيزعزع أمنه واستقراره، ولأننا ألفينا تقويضا ملاحظا وبشكل كبير في النسق السياسي سيمس بدوره هذا النظام؛ لأنّ "**وجود السلطة السياسية أمر ضروري باعتبارها القوة القادرة بالفعل على تحقيق الانسجام الاجتماعي داخل المجتمع والتأكيد لاستمراره**"[2] واستقرار

[1] حليم بركات،الاغتراب في الثقافة العربية، مرجع سابق،ص53.

[2] أحمد وهبان الماوردي، رائد الفكر السياسي الإسلامي،دار الجامعة الجديدة للنّشر،الإسكندرية، مصر،2001 م،ص34.

المجتمع من استقرار السّلطة السياسية فللصراع السياسي انعكاساته الاجتماعية" **لأنه يعني السيطرة على مقاليد الحكم والسلطة كما يعني إتاحة حقوق كثيرة من خلالها يمكن للمتقلدين تحقيق أغراض ذاتية أيديولوجية ومادية ذات انعكاسات اجتماعية قد تكون إيجابية أو سلبية"**[1] ولذلك فقد تردّى الوضع الاجتماعي بالجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، وهذا أمر طبيعيّ لأنّ الآخر عمل على طمس الهوية وحرمان الجزائريين من الوطنية والانتماء فتفشّى الفساد وانتشرت الفقر والجهل و"الأمية" التي اخترناها أنموذجا في درس سابق مع العلّامة الإبراهيمي، لأنها كانت أخطر فيروس يهدّد كيان المجتمع الجزائري.

وفي الصّدد نفسه يقول شاعر الثورة عن الجهل في قصيدته "جزائر ما أشقاك بالجهل":

جزائر ما أدهى خطوبا تعاقبت عليك وكم لاقيت من خيبة المسعى
جزائر ما أشقاك بالجهل، إنّـــه إذا حلّ شعبا، صاح، أورده النّــزعا
هو الجهل إن يحلل بلادا أنالها من الدّهر ما لا تستطيع له منـــــعا[2]

فآل الشاعر غلى مصلح اجتماعي غيور على وطنه ساخط على استراتيجية المستعمر التي استهدفت المجتمع وقيمه ومبادئه السّامية حتى تنشر الرذيلة عوض الفضية والكذب بدلا عن الصّدق والمذلة بديلا للعزة والأنفة ، والتبعية عوض الاستقلال، ولم يقتصر الكاتب على الجهل فقط بل تحدث عن ظواهر اجتماعية أخرى مثل الفقر والفضيلة في قصيدته "مصرع الفضيلة" بأسلوب متميّز خلف القضبان تارة وفي أحضان الحرية تارة أخرى.

ولا شكّ أن الإبراهيمي يعدّ من أبرز المصلحين الجزائريين وقد سبق وأن تحدثنا عن مساره الإصلاحي بخاصة ما تعلّق بالتربية والأخلاق فكتب مقالات وخطبا عن مسائل اجتماعية وأخرى إنسانية وردت في أجزاء آثار محمد البشير الإبراهيمي عن المؤسسة الوطنية للكتاب، نذكر منها" **التعاون الاجتماعي، والإنسان أخو الإنسان، الإنسانية: آلامها واستغاثتها، الأمية، لا يبني**

[1] نادية عيشور، الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، مرجع سابق، ص81.
[2] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص189.

مستقبل الأمّة إلا الأمة، إلى الأمّة"، وغيرها من النّصوص التي غاصت في مفارقات المجتمع لتقول أوجاع الإنسان وتطعّم النص الأدبي الجزائري بالواقعية والهوية والانتماء من خلال الملامسة الحقيقية والصّادقة لما يجري من المستجدات والمتغيرات الاجتماعية في البلاد.

وقد تأثّر الأدباء الجزائريون بالمذاهب الأدبية الأوروبية بخاصة المذهب الواقعي لأنّ ما عايشوه من مرارة وتقلّبات فرضا عليهم ذلك الانقياد إلى هذا النوع من الكتابات مثلما حدث مع أحمد رضا حوحو وغيره فقد أعجب برواية البؤساء أو الفقراء على حدّ تعبيره للكاتب الفرنسي فيكتور هيغو، وأبدع حوحو على منوالها قصّة "الفقراء" بعنوان مطابق في مجموعته "**صاحبة الوحي**" فيقول مقرّا بتأثره بالتيار الواقعي "**قرأت الفقراء لهيجو وكانت نفسه البائسة تطالعني، من بين السّطور، تقطر حيرة وألما**"[1] ولعلّ التأثر بأعمال روائية وأخرى قصصية عالمية إنما يدلّ على اهتمام الكتّاب الجزائريين بالقيم الإنسانية، والكتابة الواقعية هي الأنجع لإيصال مواجع الأفراد الذين عانوا من الحرمان والفقر، فغدت تجاربهم البشرية مادة خصبة للأدباء الذين يخضعونها للعملية الفنّية الإبداعية ويؤثّرون بها على القراء المقهورين في حياتهم بسبب الاستعمار وصروف الدّهر "**وإذا كان اهتمام الكتّاب انصرف إلى بعض القضايا الاجتماعية دون سواها، فإنهم يلتقون في ظاهرة الفقر التقاء ربما يكون عفويا، وما ذلك إلّا لأنّ ظاهرة الفقر مما يستهوي القلم فيجري فيه، ويلذّ للخيال فيحلّق في أجوائه المتأزمة القاتمة، وإذن فالفقر كان وراء معظم القضايا الاجتماعية التي عولجت**"[2] وذلك راجع لالتزام الكتاب الجزائريين بقضايا مجتمعهم، وطرح مشاكل الشّعب والسّعي لإيجاد الحلول، لما يعانونه من أزمات وآفات تكاد تفتك بهم وببلدهم العليل بالإضافة إلى محاور اجتماعية عديدة تطرق إليها الناقد عبد المالك مرتاض في كتابه "**القصة الجزائرية المعاصرة**" بالتّحليل كمحور الهجرة، والفقر والأسرة والأب، بالإضافة إلى المضمون الوطني في أعمال العديد من الأدباء الجزائريين.

وحتى موضوعة المرأة كانت حاضرة في الأدب الجزائري للمرأة حقوق على غرار الرّجل وهي تسعى دوما لإثبات وجودها وتحقيق ذاتها في شتى الميادين واللّمعان بقيمها الروحية السامية لا الجسدية أو

[1] أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، (المقال القصصي والقصة القصيرة)، دار الغرب للنّشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2007، 21.
[2] عبد المالك مرتاض، القصّة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص20.

الجنسية المجردة من المبادئ والقيم والمكرسة لدونيتها في مجتمعها،إلا أن المرأة قد تصطدم وللأسف بقهر يفرضه عليها الآخر سواء أكان مؤسسة دينية أو اجتماعية وإلا سياسية فتتحول إلى ضحية مغلوبة على أمرها لوهنها الفطري أو العقلي لأن العاطفة، الذاتية ورقة الأنوثة عوامل قد تعرقل من احتمالية تسلطها كفرد متعجرف عنيف يلجأ إلى أقوى الوسائل والطرق حتى يسترد الكرامة المفترضة؛ تفاديا لأي قمع قد يقزّمه أو ينتقص من كفاءاته الاجتماعية الموفورة "و**المرأة لا تنفصل همومها الموضوعية عن همومها الذاتية أو الفردية ولذا يصبح للزمن تأثير حاسم في حياة المرأة من حيث تقديم حلول مجدية كانت تنتظرها،أو السقوط بها إلى نهاية تراجيدية تحمل معنى الوحدة والانعزال والقلق**"[1] وقد تطرّق حوحو إلى قضايا المرأة والثورة والطّمع، والشّعوذة وصوّرها بكل براعة فنّية في قصّة "**الشيخ رزوق**" والتي تعدّ قصة من مجموعته "**نماذج بشرية**" ويقول الكاتب في المرأة العربية والجزائرية بخاصة في مجموعته "غادة أم القرى":" **إلى تلك التي تعيش محرومة من نعم الحبّ من نعم العلم...من نعمة الحرّية، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود...إلى المرأة الجزائرية أقدّم هذه القصّة تعزية وسلوى**"[2] وقصص كثيرة أثيرت حول المرأة الجزائرية التي كان لها حضورها الفاعل في الثّورة وفي قضايا الفكر والمجتمع الجزائري، فتوسّلها الأدباء بطلة أمّا أو أختا تضحي لأجل عائلتها أو ابنة بارة ترسم هدفها بكل وعي وكرامة، وتخدم مجتمعها بكل كفاءة وإخلاص لها حقوقها وعليها واجباته حالها حال الرّجل الجزائري.

- **البعد الدّيني:**

لا غرو في أن تتأثر إبداعات الأدباء الجزائريين بالدّين الإسلامي وبقداسته وسحر بيانه ولكن ما يختلفون فيه فهو مدى وكيفية توظيف هذه النّصوص الدّينية والغاية الفنية منها، فنلفي الكاتب الجزائري يعتمد تقنية التّناص، ويتعمّد التّصريح بآيات القرآن؛ لبثّ نفحة إسلامية مميزة للصّورة الأدبية داخل خطاباته الشّعرية أو رواياته أو خطبه فهو خطاب قائم على بلاغة اللّغة وقوة الحجة، ورصانة التّراكيب التي تترنّم لها الآذان قراءة وترتيلا ونحن نفنّد اعتبار القرآن شعرا أو نثرا، إلا أنّ هذا لا يمنع من توظيف

[1] سوسن ناجي، المرأة في المرأة، دراسة نقدية للرواية النسوية في مصر(1888-1985م)، العربي للنشر والتوزيع، مصر،ط1،ص159.
[2] أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص25.

الكاتب له فهو أمر مباح يتطلبه الجانب الرّوحاني الذي لطالما أيقظ العقول والنفوس فقد تغدو الغاية تهذيبية تروم ارتقاء النفوس، كما لا يهدف الكاتب إلى جعل سرده إسلاميا، وإنما يستعين بمصطلحات الدّين ويلحق نصه بمعانيه استزادة وتزويدا ولكن من وجهة خياليّة لا تتجاوزه، بل تبرز مضمون نصّه الأدبي بدقة أكثر وقد يقال في مناسبات دينية وهذا ما تعوّده الأدباء الجزائريون في النّدوات والمؤتمرات أو يكون الهدف إصلاح النفس والحث على الأخلاق الحميدة باعتماد أحكام الدّين الإسلاميّ وتعاليمه .

ويعدّ مفدي وآل خليفة والإبراهيمي وابن باديس والأمير عبد القادر من أبرز الكتاب الجزائريين الذين استعانوا بالقرآن الكريم واستدعوا آياته وكذا قصص الأنبياء والحديث النبوي الشريف، سنقدّم بعض الشواهد على سبيل المثال لا الحصر:

يقول مفدي في إحياء موكب الحجّاج الميمون قصيدة بعنوان "**ركب الحجاج تحية وسلاما**" مازجا خيال الدّيني بخياله السّياسي:

أهلا بوفـــد الله بعد أيـــابه حلوا أماجد طيبـــين كرامـــا

أرووا الحديث عن الحطيم وطيبة وصفوا (الحرام) و(زمزما) و(مقاما)

قولوا لنا بجياتكم أرأيتـــم ملكا هناك –كما يقال– هماما

أرأيتم عبد العزيز حيـــالها أسدا يصون عرينها ضرغـــاما

أرأيتم روح الحياة بساحها أرأيتم الإيمـــانا والإســـلاما

أوضعتم في أذن أحمد همسة أشكوتم الأوصاب والآلامـــا

أذكرتم للمصطفي في (طيبة) أنّ الدّخيل يسوقنـــا أغنامنـــا

والجهل مزّقنا وشتّت شملنا تقضي الحياة تنازعا وخصـــاما[1]

[1] محمّد ناصر، مفدي زكرياء، مرجع سابق، ص213.

ومع موضوع الحج دائما ظهر الحديث عن الرحلة الحجازية وتفاصيلها بلغة فنّية موحية في الخطاب الرّحلي الجزائري وذلك مع الشّيخ باعزيز في رحلته إلى البقاع المقدسة وصف لنا أجواءها ومشاهدها ينسج "الشيخ باعزيز" على منوال ابن جبير في مدحه لأهل مكّة ووصفه لخيراتها ومعالمها، وبدوره يتغنّى بأخلاق أهلها وبعطر جوها ونسيمها فيردف قائلا "**ضيقها كعاصمة لم يمنع أهلها من اتساع أخلاقهم وكثرة حفاوتهم بضيوفهم**" ويضيف مشيدا"**وما أحلى ليالي المدينة وأصفى جوّها وأعذب هواءها**"[1] فتطرّق إلى الجوانب المادية والمعنوية لشعوب البلدان المستضيفة له، سافر ليتفاعل مع معطيات المجتمع الآخر، فيعجب ويتفاجأ تارة أو ينبهر ويتحسّر تارة أخرى بخاصة إذا تعلق الأمر بالآداب التي من شأنها أن تسير على وتيرة واحدة بين الشعوب أو بالدّين الذي يفترض أن يكون خيطا متينا يربط بين الأمم .

وبصورة مغايرة نوعا ما يستذكر "الشّيخ باعزيز" تقاليد بلاده في ديار الغربة حنينا وشوقا وإبرازا للموقف الإصلاحي؛ لأنه يحثّ على تصحيح فكرة خاطئة سادت في مجتمعه وتكمن في المغالاة المادية التي ينبغي أن تصرف حتى يلقّب الحاج فعلا بالحاج، ويا لها من كنية بعيدة عن الأصل الجوهر السامي فيها ! فبحسبه "**جرت العادة وحكّمت التقاليد أن يستقبل الحاج بحفاوة زائدة لا من ذويه وأقاربه فحسب بل من عارفيه وسكان حيّه وقريته، وفي بعض الجهات تتألف وفود من أولئك فتخفّ بالطبول والزّرنة لاستقباله...أمّا أنا فلم أحفل بشيء من هذا كلّه، فلا طبول ولا زرنة ولا زغاريد ولا موائد عامة من نوع ما ذكر، ومع ذلك أرغمتني هذه التقاليد على حمل كمية ممّا يوزع كهدايا بهذه المناسبة على الزائرين**"[2] فعدم سيره على منوال سابقيه بحسب ما أملته العادات، والتقاليد حرمت الكاتب من لقب الحاج رغم المشقة المادية التي تحمّل أوزارها في البقاع المقدسّة.

كما أجاد الإبراهيمي القول في ذكرى المولد النبوي الشّريف ونشر في جريدة البصائر:"**إحياء ذكرى المولد النّبوي إحياء لمعاني النبوّة وتذكير بكل ما جاء به محمّد من هدى، وما كان عليه**

[1] عمر بن قينة، رحلات ورحّالون، في النثر العربي الجزائري الحديث، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، ط2 ،2009، ص84.

[2] عمر بن قينة، رحلات ورحّالون، في النثر العربي الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص88.

من كمالات نفسية، فعلى المتكلّمين في هذه الذّكرى أن يذكروا المسلمين بما كان عليه نبيّهم من خلق عظيم، وبما كان لدينهم من استعلاء بتلك الأخلاق"[1] والشيخ هنا يجيز للجزائريين والعرب على حدّ سواء الاحتفال بذكرى المولد النبوي وذلك بإقامة احتفالات ترمي للهداية لا للبدعة كما يدعي البعض.

وللكاتب أيضا خطبة بعنوان "**نصيحة دينية**" تقدّمها جمعية العلماء للأمة الجزائرية الإسلامية، ولعلّ العنوان الفرعي ليؤكّد الانتماء والهوية والقومية كذلك حيث يقدّم الشيخ كرئيس للجمعية جملة من النصائح متعلقة بصيام شهر رمضان الفضيل، بالإضافة إلى توعيتهم وتحذيرهم من فكرة تسييس الدّين من طرف الآخر الذي لم يكتف بالاستحواذ على الأرض والمادة، بل يبحث عن الكيان والروح يقول في بعض الفقهاء الذين أرادوا أن يضلّلوا المسلمين عن رؤية الهلال كدليل قاطع لصوم رمضان: " **لا تسمعوا كلام الجاهلين الذين يسولون لكم الخلاف في الدّين باسم الدّين ويطعنون في رؤية تونس أو فاس أو قسنطينة ويضيقون عليكم ما وسع الله، لا تقلّدوا بعض الفقهاء الجامدين الذين يريدون أن يحتكروا التصرّف في الصّوم والإفطار ويفرّقوا كلمة الأمة بجمودهم وجهلهم"**[2] وقد حارب الإبراهيمي بكتاباته كل أشكال الفتن والبدع، وأطال الحديث في الطّرقية والمسالك الصوفية المغلوطة التي كادت أن تحصد معها الكثير من القلوب الضعيفة في ظرف تاريخي صعب قد يحتضر الوازع الديني فيه لولا الجمعية والكتابات المستنهضة للهمم.

كما استطاع النّاص الجزائري من خلال توظيفاته المتعدّدة الأشكال للآيات القرآنية أن يكسب نصّه بعدا وظيفيا وآخر جماليا بغض النّظر عن موضع الآية المستدعاة سواء كانت في التّصدير أو داخل المتن الحكائي، وهو ما جعل التّداخل النّصي الدّيني مصدرا رئيسا لأبعاد تأويلية تربط بين أجزاء النّص ذاته أو بين النّص وسياقات إنتاج النّص الخارجيّة، وهو ما يستوجب على القارئ للوصول إليه التنقيب في المرجع الأساس سواء في مصدر الآية أو سبب النزول وصولا إلى تفسيرها، ومدى تعالقه مع الموقف

[1] آثار محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج3، الجزائر، ط1 ، 1981، ص361.
[2] المرجع نفسه، ص14.

السّردي الجديد ومن ثمة الهدف من توظيفه، وكمثال على الشعر الدّيني الجزائري سنتكئ مؤلّف الناقد عبد الله ركيبي والمعنون بـــ" الشعر الدّيني الجزائري الحديث" لتقديم نماذج عن أبرز الأشعار التي تعرّض إليها في كتابه فاستهله بباب أوّل حول الشّعر الدّيني الصوفي عبر المدائح والتوسلات ومدح الشّيوخ، والدّفاع عن الإسلام، بالإضافة إلى الحديث عن التّصوف الخالص وشعر المتصوفة ومدى اعتنائهم بالبديع، كما تطرق إلى الشعر الديني الملحون، ثم في الباب الثاني عرّج على دور الحركة الإصلاحية وتأثيرها في الشّعر الدّيني، ومن ثمة تطوّر الشعر الإصلاحي وقد انتقينا الشّاعر محمد بن سليمان من هذا المؤلف لا تفضيلا بل لأنه أجاد القول في مدح النّبي صلى الله عليه وسلّم والتغزّل بشمائله:

فأنت عين العيون منك قد بسطت أيدي العناية نشرا فيك محتزن

ولم تزل فيك عينا وهي مكـــــث لكنّها أوجه للعين فيها سنـــــــا

شمائل الحزن أم شمول مطـــــربة قد أسكرت بشذاها الدِّن والوطنا[1]

وللتّوسع أكثر في الأشعار الصوفية والدّينية وفي مدح الرسول أو الذات الإلهية أو الشيوخ ينظر في مؤلف ركيبي، وهو ضخم في حجمه وفي متنه؛ لأن الاستناد إلى قراءة المخطوطات وتحليلها بدا جليا فيها وهذا جهد ينبغي على الباحث الجزائري أن يثني عليه لأنه نبش في التاريخ الأدبي واستطاع أن يظهر اكبر قدر ممكن من الشعراء المطموسين والمقهورين بسبب الاستعمار أو الرقابة الحكومية أو هجرتهم إلى الغرب أو انتماءاتهم المتقلبة وغير المستقرّة.

ولعلّ" **عدم إشباع العاطفة الدينية يؤدي بالضرورة إلى ظهور التمرد والعبث واللّامعقول، والشعور بالغربة والاهتمام بمشكلة الشّر**"[2] لذا يمكننا تصنيف الكتّاب الذين حققوا لأنفسهم عالمهم الدّيني الخاص بهم من جراء التجرّد الجزئي أو الكليّ من المشاعر الدّينية، ولكن قد يتغير حالهم بفعل المؤثرات الثقافية الخارجية، وبخاصة إذا قرؤوا نصوصا توعوية دينية أو أدبية تهدف إلى تعليم مبادئ الدين وتطبيق أحكامه ولكن دون اتكاء أسلوب الترهيب بل بترغيب فنّي يزيد من إيمانهم، ويسّد فراغ تلك العاطفة الروحية الجافّة.

---

[1] عبد الله ركيبي، الشّعر الدّيني الجزائري الحديث، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 1981، ص53.

[2] محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، دط، دت، ص95.

- **البعد الثّقافي والفكري:**

وكثيرا ما يتجاوز (المثقف/الإنسان) الجزائري فكرة اعتباره مجرّد كائن حيّ خلق ليستقر فيزيقيا ونفسيا، إلى تشكيل رؤية خاصة بالكون الذي يعيش فيه، فيحاول أن يرتقي بفكره ويلجأ إلى التجديد في ثقافة بلده لأنه يشكّل جزءا أساسيا من مكوناتها الأصلية ولا يغيب عنا أن الثقافة "**مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثّر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة**"[1] لذا فالتأثير والتأثر أمر مفترض بين الطّرفين، واستقرار هذا النّسق (الثّقافي) ينعكس بدوره على طبيعة ثقافة الفرد الذي يسعى دائما إلى توسيعها وفق ما يقتضيه السّائد في مجتمعه إلا أن هذا التّوسيع قد يعود بالضّرر عليه، لا لشيء سوى لأنّ ثقافة المجتمع قد ترتكز في أصلها على تناقضات قيمية لا تخدم العامة، بل تسعى إلى تغليب المصلحة الفردية وبهذا "**لا يصبح المثقف أو المنتج في حقول الفكر والثقافة والسياسة عقلا فعالا ذا هيبة تبجيلية..وإنما مجرد مبدع يمارس حيويته الفكرية**"[2] في إطار ضيّق ومحدود جدا اقتضته حالة التّقويض التي تعانيها ثقافة الجزائر، ومن المفترض أن تكون –الثّقافة– الباعث الأساس" **في صناعة المجتمع ورسم ملامح نوعية تميزه عن غيره، وتؤهله لتقرير مصيره**"[3].

وقد توقّف محمد البشير الإبراهيمي عند هذه المسألة كثيرا وتحدّث عن المثقفين وشروطهم، ودورهم في النّهضة بالجزائر التي تألّمت كثيرا من غصص المحتل الذي قهر هذه الزمرة وغمر العادات والأعراف وكلّ مؤشرات الأصالة ومقوّمات الهوية.

وقد تمت الإشارة في الدّرس السّابقة إلى الجوانب الأيديولوجية الحاضرة في الأدب الجزائري، كالثورة، والاشتراكية، والإقطاعية، وقضية الأزمة والوحدة العربية والمغاربية، كلها أفكار واردة من مذاهب أوروبية غربية، أو من صراعات داخلية في الجزائر، تطرّق إليها الشعراء الروائيون كذا القاصّون الجزائريون في نتاجاتهم.

---

[1] نور الدين مسعودان، مالك بن نبي بقلم معاصريه، دار النون للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت ، ص 21.

[2] المرجع نفسه، ص47.

[3] نادية عيشور،الصراع الاجتماعي،بين الممارسة،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1 2008م، ص76.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم عبّاس، القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، أطفالنا للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2014.

2- إبراهيم مياسي، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، دار هومة، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

3- إبراهيم محمود، صدع النّص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، سوريا، ط1، 2000.

4- آثار محمّد البشير الإبراهيمي: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزء الأول ، ط1، 1978.

5- : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزء الثّالث، ط1 ، 1981.

6- أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشّعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

7- أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، في الفترة ما بين 1931- 1976، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

8- أحمد طالب، الأدب الجزائري الحديث، (المقال القصصي والقصة القصيرة)، دار الغرب للنّشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2007.

9- أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 ،1980.

10-أحمد بن الداية، الفلسفة السياسية عند العرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

11-أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004.

12-أحمد وهبان الماوردي، رائد الفكر السّياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر،2001م.

13- إلياس فرح، تطوّر الأيديولوجية العربية الثّورية (الفكر القومي)، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط7، 1979.

14- بشير بلاح، التدافعات الثقافية في الأسطوغرافيا الجزائرية، 1962-1998، جذورها والعوامل المؤثرة فيها، منشورات المجلس ، الجزائر، 2017.

15-بن مزيان بن شرقي، التاريخ والمصير، قراءات في الفكر العربي المعاصر، دار الغرب للنّشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط2 ، 2004 .

16-جعفر نجم نصر، الأنثروبولوجيا التّاريخية، الأسس والمجالات في ضوء مدرسة الحوليات الفرنسية، دار أوما، للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2013.

17-جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشّعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثّقافية، الجزائر، 2003.

18-حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،لبنان،2006م.
19-سماح بن خروف، تجليات الاغتراب في الرواية العربية، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2016.
20-سوسن ناجي، المرأة في المرأة، دراسة نقدية للرواية النسوية في مصر(1888-1985م)، العربي للنشر والتوزيع، مصر،ط1، دت.
21-الشريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.
22- شلتاغ عبّود شرّاد، الغماري شاعر العقيدة الإسلامية، دار مدني، الجزائر، دط، 2003.
23-عبد الجليل مرتاض، الظاهر والمختفي، طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، دط، 2005.
24-عبد الحليم رايس، دراسات ونصوص من المسرح الجزائري، مسرحيتان، أبناء القصبة ودم الأحرار، منشورات المعهد الوطني العالي للفنون المسرحية، ع2، برج الكيفان، الجزائر، نوفمبر 2000.
25-عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى جدار للكتاب العالمي، عمان – الأردن ، ط1، 2009.
26-عبد الله إبراهيم، التّخيّل التاريخي، السّرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسّسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1 ، 2011.
27-عبد الله بن صفية، الاستشراف في الرّواية العربية، أنساق السّرد وآفاق المستقبل، دار نيبور للطباعة والنّشر والتوزيع، العراق، ط1 ، 2016.
28-عبد الله ركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1 ، 2009.
29-عبد اللّه ركيبي، الشّعر ...في زمن الحرّية، دراسات أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
30-عبد الله ركيبي، الشّعر الدّيني الجزائري الحديث، الشّركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 1981.
31-عبد الله العروي، العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط6 ، 2014.
32-عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ،ط7 ،2003م.
33-عبد الله العروي، الحداثة وأسئلة التاريخ، عبد المجيد القدوري، عبد القادر كنكاي، قاسم مرغاطا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، ط1، 2007.
34- عبد المالك مرتاض، القصّة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
35-عبد المالك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، 1889-1965، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

36-علي القاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس وريادة النهضة العربية، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية، أعمال ندوة، منشورات المجلس، الجزائر، ج1، 2016.

37- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1، دت.

38-عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثّقافة الجزائرية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1999.

39-أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرّحالين الألمان، 1830-1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

40-فيصل عباس، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4 ،2004م.

41-أبو القاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرّابع عشر الهجري ،ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

42-أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.

43-كيت ميتشل، التاريخ والذاكرة الثقافية في الرواية الفكتورية الجديدة، تر: أماني أبو رحم، دار نينوى للدراسات والنشر التوزيع، دمشق، سوريا، ط1 ، 2015.

44-مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1939، دار بني مزغنّة، الجزائر، 2015.

45-محمّد بن ساعو، جمعية العلماء المسلمين الجزائيين والثورة التحريرية، 1954-1962، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 2016.

46- محمّد الطّاهر يحياوي، أحاديث في الأدب والنّقد، شركة الشّهاب الجزائر، الجزائر، 1990 .

47- محمّد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001.

48-محمّد الغزالي، الغزو الثقافي يمتدّ في فراغنا، الزيتونة، للإعلام والنّشر، الجزائر،1989.

49-محمّد ناصر، مفدي زكرياء، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989.

50-محمّد ناصر، الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنّية، 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 ، 1985.

51-محمّد ناصر، رمضان حمّود، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

52-مرجانة بوخوش، تحكّم الأنساق الثقافية والاجتماعية في الشعر الجزائري الحديث، مجلة إشكالات، ع7، ماي، 2015.

53-نادية عيشور،الصراع الاجتماعي،بين الممارسة،دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1 2008م.

54-نصر الدّين بن غنيسة، في بعض قضايا الفكر والأدب، جولات في العقلين العربي والغربي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002.
55-نور الدين مسعودان،مالك بن نبي بقلم معاصريه،دار النون للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،دط،دت.
56-هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2012.
57-واسيني الأعرج، اتجاهات الرّواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
58-يوسف وغليسي، في ظلال النّصوص ،تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط1 ، 2009.

فهـــــرس الموضوعات:

أهداف المقرّر	1
المعارف القبلية المطلوبة	1
مفردات المقرّر	2
مادة المقياس	3
مدخل حول سمات انفتاح الأدب الجزائري ورفض الانغلاق	3
الدّرس الأول: الأدب الجزائري والقضايا الفكرية والأيديولوجية	8
الدّرس الثّانـــي: القضايا القوميّة العربية	17
الدّرس الثالث: القضيّة الفلسطينية ومركزية حضورها النصي في الأدب الجزائري	26
الدّرس الرابع: الثورة في الأدب الجزائري	35
الدّرس الخامس: القضايا الإصلاحية: إصلاح الأوضاع الاجتماعية ومحاربة مظاهر التّخلف	48
الدّرس السّادس: قضية الالتزام في الأدب الجزائري	54
الدّرس السّابع: الأبعاد الثقافية وقضية الانتماء	62
قائمة المراجع	76
– فهرس الموضوعات	80